الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة

وزارة التعليـم العالـي والبحث العلمـي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم-

كلية الآداب

قسم الأدب العربي

شعبة دراسات أدبية

تخصص أدب مقارن وعالمي

مذكـرة التخـرج لـنيل شهـادة الماستر في دراسات أدبية

الموسومة بـ:

المستشــرقون وتاريخ الأدب الــعربـــي

(المدرســة الـفرنسيــة نموذجــا)

إعداد الطّالبة:

برحمون عزيزة

إشراف الأستاذ المحترم:

بن دحان عبد الوهاب

السنة الجامعية: 2017/ 2018

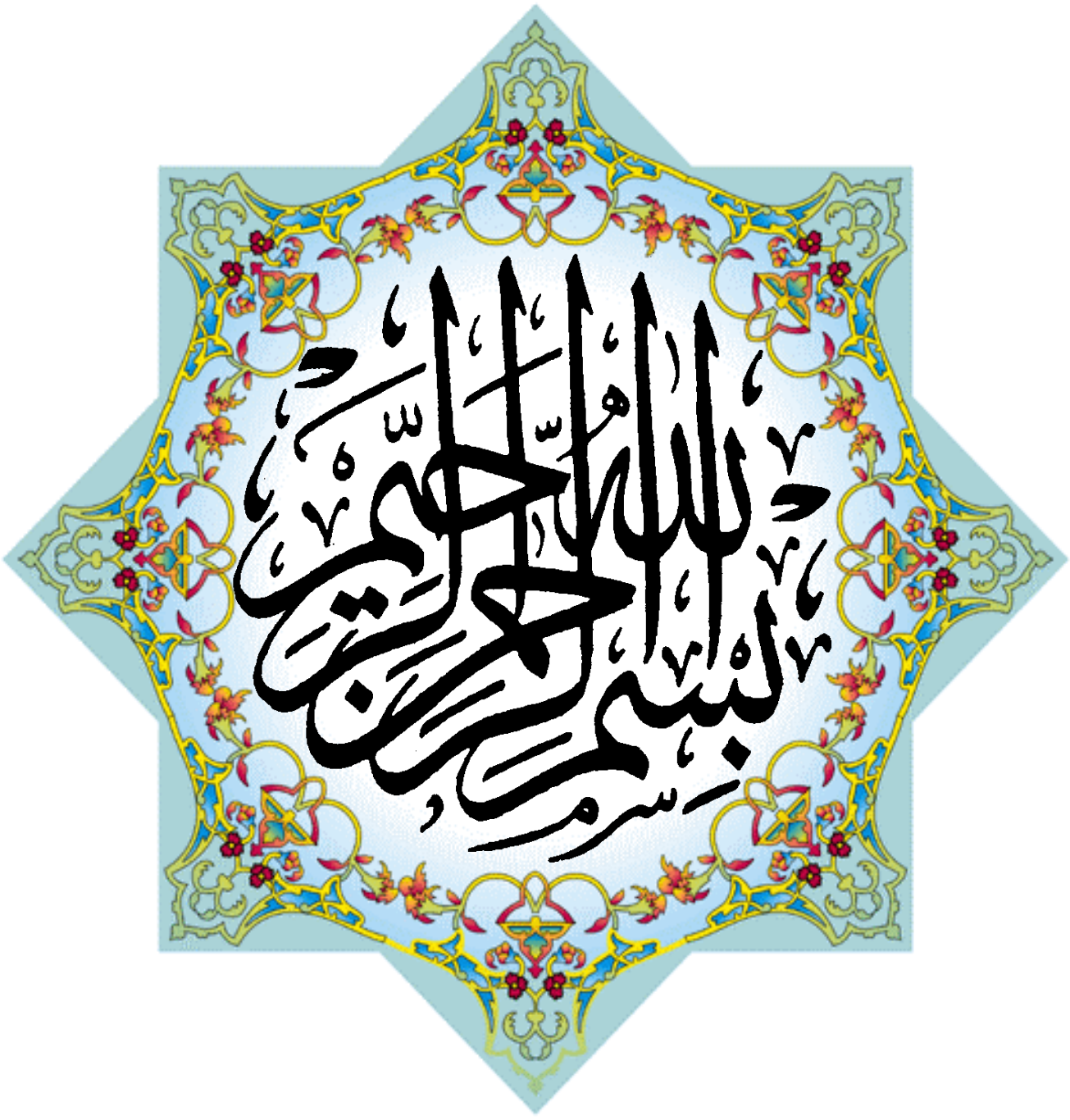
بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة

وأعانني على أداء هذا الواجب

ووفقني في إتمام عملي

فكل الشكر والامتنان والتقدير والعرفان

إلى كل من ساعدني قريب أو بعيد على إنجاز هذا العمل،

وفي تذليل في ما واجهته من صعوبات

وأخص بالذكر الأستاذ المشرف: بن دحان عبد الوهاب

الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة

التي كانت لي عونا في إتمام هذا البحث وأقدم

أية العرفان بالجميل وحب لا يموت إلى كل

من قيل في حقه "من علمني حرفا صرت له عبدا"

وإلى كل ذي عون لإنجاز هذا العمل

وفاء، تقدير، محبة

دعاء

اللهمّ افتح علينا حكمتك

وانشر علينا أبواب رحمتك

يا أرحم الرّاحمين

اللهمّ ارزقنا علمًا واسعًا وشفاء

من كل داء وسقم برحمتك

يا أرحم الراحمين

اللهمّ إنّا نسألك علمًا نافعًا

وعملاً متقبلاً ورزقًا طيبًا

يا أرحم الراحمين

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من ألمتني بحبها وحنانها، وأنارت دربي بعطفها ، وراقبتني بقلبها قبل عينيها ودعمتني بدعائها، من كانت قوة عزيمتي بنصائحها، سايرتني بصبرها، كنزي الثمين، جوهر كياني، من ساندتني وسهرت لأجلي، رافعة أكفها للسماء داعية لي، من أستمد سعادتي من رضاها، غلى المشاعر المرهفة الطاهرة النقية: أمي الحبيبة

– أطال الله عمرها-

إلى أعز ما أملك في الوجود، شخصا رايته بين الناس رجلا وبين الرجال بطلا وبين الأبطال مثلا، من لبى ولم يتأخر، من راعى ولم يتعب، من انتظر ولم ييأس، سندي في الحياة، إلى ذلك النور الذي لا ينطفئ أبدا: أبي الغالي – أطال الله عمره –

وفيهما قال الله تعالى: { أَشْكر لي وَلِوَالِدِيَ وَإِلَيَ المصيرْ}

إلى من زرع في نفسي الثقة، من دعمني بنصائحه المادّية والمعنويّة، من شقى لشقائي، وتعب لتعبي، وكدا لاجتهادي، إلى من أعطى ولم يبخل، أخي العزيز:

برحمون خالد حفظه الله

إلى من جعلوا حياتي مليئة بالحب والحنان، أخي الصغير ياسين، وإخوتي:

منصورية، وفيروز، وشريك حياتي محمد

إلى كل صديقاتي اللواتي رافقتني في مشواري الدراسي

إلى أساتذتي الأجلاء ممن صنعوا بكل اقتدار مسيرتي الدراسية

خاصة الأستاذ والدكتور القدير المحترم

بن دحان عبد الوهاب

إلى كل طالب للعلم والمعرفة، إلى كل طلبة قسم اللغة العربية وآدابها بالقطب الجامعي

بمستغانم دفعة 2018

برحمون عزيزة

مقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد لعب الاستشراق دورا خطيرا في حياة الأمة الإسلامية عبر قرون طويلة أخذ العلوم والفنون والآداب عن العرب ونقلها إلى الغرب حيث أقام عليها دعائم نهضتهم وبلغ ما بلغه من التقدم والازدهار ثم نقل الكتب القديمة والمخطوطات العربية وغيرها وصار الاستشراق عامًا له منهجية وفلسفته وإتباعه ومعاهده.

وقد اهتم الاستشراق بالأدب العربي اهتماما كبيرا وكان على رأس المستشرقين أولئك الباحثون الفرنسيون.

- فكيف نظر المستشرقون الفرنسيون للأدب العربي؟
- وما مفهومه؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات وسمت بحثي بالعنوان: "المستشرقون وتاريخ الأدب العربي المدرسة الفرنسية - نموذجا-".

- وقد قسمت بحثي إلى فصلين وخاتمة.

حيث عنونت الفصل الأول أثر الاستشراق التاريخي وفيه تطرقت إلى نشأة الشعر العربي، تعريفه وأغراضه وتقسيم عصور الأدب بدئا بالعصر الجاهلي.

أما الفصل الثاني كان تحت عنوان المدرسة الاستشراقية الفرنسية والأدب العربي وفيه تطرقت إلى تاريخ الأدب العربي عند المستشرقين والاستشراق الفرنسي والأدب العربي.

وفي الأخير ختمت بحثي بخاتمة جامعة لنتائج البحث.

وقد تطلب مني الموضوع إتباع المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على خصائص الاستشراق الفرنسي وموقفه من الأدب العربي.

- فقد اعترضتني جملة من الصعوبات أهمها قلة الوقت المتاح لاستعمال هذه الدراسة، وكذا عدم تمكني من الحصول على بعض المراجع التي تبدو بالنسبة لي ضرورية جدا.

وفي الأخير في هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف "بن دحان عبد الوهاب" الذي كان نعم المشرف والموجه، إذ لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه المستمرة التي أنارت لي طريق في أنجاز هذا البحث.

1- مفهوم الحركة الاستشراقية:

نظرا للأهمية البالغة التي احتلها الاستشراف في الأوساط الأدبية توسع مفهومه وأصبح علما مستقلا له قواعد وأسسه وكيانه ومدارسه ومناهجه، بل تحظى حدوده ليشمل علوم أخرى كعلم الآثار والتاريخ والأصوات وغيرها، فالإستشراق اصطلاح "واسع يشمل طوائف متعددة تعمل في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة فهم يدرسون العلوم والفنون والديانات والتاريخ، وكل ما يخص الشعوب الشرقية مثل الهند وفارس والصين واليابان والعالم العربي وغيرهم من أمم الشرق"[1].

2- تعريف الاستشراف:

قد يبدو أن الخوض في تعريف كلمة "الاستشراف هو باب التكرار فقد غاص فيه المختصون، وامتلأت به كتبهم، فلذلك ليس تم ما يبرر تكرار ما هو تحصيل، ومعروف بالضرورة ولكن ليس من السهل على الباحث التعريف بالأفكار العلمية المجردة". لان العلم دومًا قابل للتطور، ولأن هذا التطور المستمر يكشف عن الجوانب الدفينة من قبل التطور والتغير تشمل جميع العلوم حتى التطبيقية منها والتي بلغت الثبات والتحدي ويعتقد معه أنها بمنجاة من ذلك التطور والتغيير[2]، فخاصة أن المستشرقين قد أخذوا مواقف من التسمية (الاستشراف)، وذلك لارتباطه بدوائر مشبوهة كالتنصير والاستعمار والمخابرات، وهذا ممّا جعل بعضهم ينضّل من التسميّة ويتهرب منها.

أ. **الإستشراق لغة:** الاستشراف كلمة مركبة من الشرق وإضافة إلى الحروف الزائدة "الهمزة والسين والتاء"، (أ.س.ت)، التي تعني في اللغة العربية طلب الشيء، فالاستشراف إذن طلب الشرق.

و"الشرق" كما جاء في لسان العرب في مادة (شارق) – شرقت الشمس- طلعت اسم الموضوع المشرق، وكان القياس المشرق، ولكنه أمر من هذا القبيل، وفي حديث ابن عبّاس نهى عن الصلاة بعد الصبح حتى تشرق الشمس"[3] .

---

[1] سيد محمد صبرة عفاف، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار الفكر العربي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997، ص11.

[2] الحاج سالم ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية، ص11.

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط1، 1990م/ 1410هـ، ص173.

يقال: "شرقت الشمس إذَا طلعت وأشرقت إذَا أضاءت، فإن أراد الطلوع فقد جاء في الحديث الآخر حتى تطلع الشمس، وإذا أراد إضاءة فقد ورد في حديث آخر حتى يرتفع الشمس، والإضاءة مع الارتفاع".

أما المعاجم العربية الحديثة فتجمع في مفهوم لفظ الاستشراق على أنّه: "اتجاه الغربيين بتراث الشرق وحضاراته ولغاته"[1].

ولفظة استشراق مولّدة استعملها المحدثون من ترجمة كلمة ''Orientalisme'' ثم صاغوا الفعل المزيد اسمًا، واستشراق في اللغات الأجنبية مرادفًا في الفعل العربي، والجدير بالذكر أن الكلمة التي نبحث عن مفهومها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية المختلفة القديمة، غير أن هذا لا يمنع الوصول غلى معناها الحقيقي استنادًا إلى قواعد الصرف وعلم الاشتقاق[2].

جاء في تاج العروس "الشرق"، حين تشرق الشمس، وقيل "الشرق": الضوء الذي يدخل في شق الباب وشرقت الشمس شرقًا شروقًا، أضاءت وانبسطت على الأرض[3].

ب- الاستشراق اصطلاحًا: لم يتفق الباحثون عن تحديد بداية تاريخية بعينها، ولعل مرت ذلك إلى الدراسات الاستشراقية كانت تسبق ظهور مصطلح الاستشراق بزمن طويل يظل إلى قرابة ألف عام[4].

فالاستشراق بتعبير موجز هو: دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته[5].

أما المستشرق فهو ذلك الغربي الذي يدرس تراث الشرق وكل ما يتعلق به وبعولمه، والدارس للغات الشرق وفنونه وحضارته، وعليه فالاستشراق دراسة يقوم بها غير الشرقيين لتراث الشرق، إذا ما أجزنا المفهوم الواسع للاستشراق، والذي يعنينا، كما يقول الدكتور محمد زقرزق: هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الذي يعني الدراسات الغربية

---

[1] صبحي حمودي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000، ص765.
[2] إسحاق موسى، الاستشراق: نشأته، تطوره، أهدافه، مطبعة الأزهر، القاهرة، 1967، ص01.
[3] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي بشري، دار الفكر، [د.ط]، 1994، ج13، ص237.
[4] عبد القدوس الأنصاري، مجلة الأدب والعلوم الثقافية، دار المنهل، [د.ط]، [د.ت]، ص129.
[5] محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1982، ص11.

المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه عقائده وتشريعاته وحضارته بوجه خاص، فهذا هو المعنى الذي يتصرف إليه الذهن في عالمنا العربي الإسلامي، عندما يطلق لفظ استشرق أو مستشرق وهو الشائع أيضًا في كتابات المستشرقين المعينين[1].

ورغم تداول مصطلح استشراق في مختلف الدراسات والكتابات والمؤتمرات إلا أن ثمّة اختلاف وتباين في تحديد مفهومه في كتابات المفكرين الغربيين، ذلك أن المنطلقات تختلف من وجهة إلى أخرى.

- **التعريف العربي للاستشراق:**

عرف الاستشراق بعدة تعاريف من قبل الباحثين العرب والمسلمين، وذلك بسبب لتوجّهات الفكريّة لكل دارس، فمنهم من يراه عبارة عن دراسة يقوم بها بعض المفكرين الغربيين وفي ذلك يقول الدكتور حسن حنفي عنه: "تلك المحاولة التي قام بها ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافته وعلومه، كما يطلق لفظ مستشرق على المفكرين المشغلين بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ومصطلح الشرق يشمل الشرق الأدنى والأوسط الأقصى".

ومن الدراسين من نظر إلى من يقوم بالعمل الاستشراقي نظرة دينية، فقد وصفهم أحمد عبد التوّاب بالكفر، فيرى أن الاستشراق: "دراسا أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة كانت أو شريعة وثقافة وحضارة، وتاريخًا ونظمًا وثروات وإمكانات...، بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم، وفرض التبعية للغرب ومحاولة تبرير هذه بدراسات[2]، ونظريات تدّعي العلمية والموضوعيّة، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي، ليس كل الدراسات أكاديمية"، ومنهم من يحدد الاستشراق بأنه "أسلوب فكري غربي اي (منهج غربي في رؤية الأشياء والتعامل معها)، يقوم على أن

[1] محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص11.
[2] سعد المرصفي، المستشرقون والسنة، مكتبة النار، الكويت ومؤسسة الريان، بيروت، ص09.

هناك اختلافًا جذريًا والمعرفة بين الشرق والغرب، وأن الأول يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الثاني"[1]، كما هو الأمر عند أرنست رينان.

وهو بالنسبة للآخرين عبارة عن دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه: تاريخه وثقافته، وأديانه، ولغاته، ونظمه الاجتماعية والسياسية وثرواته، وإمكانياته...من منطلق التفوق العنصري والثقافي غلى الشرق ويهدف للسيطرة عليه لمصلحة الغرب، وتبرير هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعملية والموضوعية[2].

إلى المفهوم العام للاستشراق لا يخرج عن كونه تلك الدراسات والمباحث التي قام بها الغربيون لمعرفة الشرق من جميع جوانبه[3].

وهو التخصص في فروع المعرفة المتصلة بالشرق وهو ما يطلق عليه عادة "المفهوم الأكاديمي أو الجامعي"[4].

لقد اختلفت اتجاهات وانشغالات المستشرقين، فقد اهتم بالشرق قديمًا وحديثًا، الرّحالة والمبشرون والضباط ورجال الإدارة الاستعمارية واللغويون واللاهوتيين وعلماء الآثار والأنتروبولوجيون، ومؤرخو الحضارات والتربويون والرومانسيون ورجال المخابرات والسياسيون والمهتمون بالشرق كافة[5].

بينما يراد بالاستشراق اليوم حسب حسن أحمد الزيات: دراسات الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره.

ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين ودراسته العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه معمورًا بما تشعه منارات بغداد والقاهرة من أضواء المدينة والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه غارقًا في غيابه من الجهل الكثيف والبربرية الجامحة[6].

---

[1] سعد المرصفي، المستشرقون والسنة، ص03.
[2] المرجع نفسه، ص06.
[3] الحاج سالم ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ص22.
[4] شكري النجا، لماذا الاهتمام بالاستشراق، مجلة الفكر العربي، 1983، ص60.
[5] رضوان السيد، ثقافة الاستشراق ومصائره، مجلة الفكر العربي، ص08.
[6] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، [د.ت]،

بينما كل من أحمد الإسكندري واحمد أمين في تعريفهما للمستشرق بأنه: "كل من تجرّد من أهل الغرب لدراسة بعض اللغات الشرقية وتقضي آدابها طالبًا للتعرف على شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها ودياناتها وعلومها وآدابها وغير ذلك من مقومات الأمم في الأصل في كلمة "استشراق"، أنّه صار شرقيًا كما يقال استعراب إذا صار عربيًا[1].

ويرى مالك بن نبي أنه يجب أولا أن نحدد المصطلح: غننا نعني بالمستشرقين، الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، ثم علينا أن نصنف أسمائهم في شبه ما يسمى طبقات على صنفين:

أ- من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل: جرير دورباياك، والقديس توما الأكويني، وطبقة المحدثين مثل كاردوفو وجول جولدزيهر.

ب- من حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين في كتاباتهم: فهناك طبقة المادحين للحضارة الإسلامية، وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها[2].

ويتوسع علي عناني في فهمه للاستشراق فيقول: "من صيغة هذه الكلمة تعرف أن المستشرق هو المنشغل بالعقليات الشرقية سواء كانت سامية أو غير سامية، ولكن هذه الكلمة في اصطلاح العلماء والأدباء تطلق على المنشغل بالعقليات السامية خاصة وينبع ذلك البحث في اللغات الحامية[3] .

أما أحمد الشرباصي فيرى: "أن المستشرقون قوم من أوروبا، نسبوا أنفسهم إلى العلم والبحث وشغلوها في أغلب الأحيان بالبحث في التاريخ والدين والاجتماع، ولكل منهم لغته الأصلية التي رضع بها أمه وأبيه ومجتمعه وبيئته، فصارت له "اللغة الأم" كما يعبرون، فهو يغار عليها ويتأثر بها ولكنه مع ذلك تعلم اللغة العربية بجوار لغته الأصلية ليدرس حضارة الشرق وعلومه وآدابه"[4].

ص25-512.

[1] أحمد الاسكندري وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، 1934، ص27.

[2] مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1969، ص5-6.

[3] علي العناني، المستشرقون والآداب العربية، الهلال أغسطس، 1932، ج1، ص40.

[4] أحمد الشرباصي، التصوف عند المستشرقين، مطبعة نور الأمل، سلسلة الثقافة الإسلامية، 1966، ص06.

فالاستشراق إذًا: هو الدراسات الغربية للشرق الإسلامي...وبمعنى أقرب هو محاولة بعض المفكرين اختصاره في دراسة الإسلام وحضارته...

فرغم الكتابات التي كتبت حول الاستشراق لم تكن وخزاتها ذات بال، لأنها كانت تنطق من ردود فعل عاطفية، ولم تستطع تفجير هذا الخطاب من داخله وتشكل خطابًا جديدًا ورؤية متبصرة لطبيعة الاستشراق، إلا أن ثمة لقطات كان لها الدور في تغيير التصور العام للاستشراق، سواء في المنظومة الفكرية العربية أو المنظومة الفكرية الغربية، فقد كانت هناك محاولات للوقوف مع الذات وأعمال الفكر وتيقّظه والتي منها:

- موقف جمال الدين الأفغاني: الذي زاد فضوله المقال الذي كتبه احد الجزائريين لفرنسا، ردًا على رينان للرد على شبيهات رينان التي تمحورت حول اتهام المسلمين بالعجز العقلي، واتهام الإسلام بازدهار العلم والفلسفة وأضدادهما، وذلك إلى عوامل عرقية وعنصري، فرد جمال الدين الأفغاني هذه التهم في مقال نشره في الصحيفة ذاتها في (18 أيار 1983)، ويتلخص ما أورده جمال الدين في مناقشته يقوله: "إن المرء ليساءل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها، اصدر هذا الشيء عن الديانة الإسلامية نفسها، أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الإسلامية في العالم أم أن أخلاق الشعوب التي اعتنقت الإسلام أوحمت كل اعتناقه بالقوة، وعاداتها وملكاتها الطبيعية هي جميعها مصدر ذلك[1].
- موقف الشيخ عبده: الذي حاور رينان في نظريته البيولوجية وادعاءاته السلبية في علاقة الإسلام بالعلم[2].

➢ نشأة الحركة الاستشراقية:

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت كان ذلك؟، ولكن مما يجدر ذكره أن بعض الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس إبّان عظمتها ومجدها، وتثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على يد العلماء المسلمين في مختلف العلوم، خاصة في الفلسفة والطب والرياضيات، يقول:

[1] حسن حنفي، ماذي يعني علم الاستغراب؟، دار الهادي، بيروت، ط1، 2000، ص7.
[2] ينظر: محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، النشر الثاني، 1990.

د.عمر فروخ "إن أوائل المستشرقين منذ القرن الرابع عشر (14) كانوا الرهبان خاصة، ذلك لان العلم في ذلك الدور من تاريخ أوروبا قاصرًا على الرجال الكهنوت، فلا يجب إذا نحن قلنا إن جربرت ''Gerbert'' الفرنسي الذي أصبح بابا بسم سلفسر الثاني، كان أول المستشرقين، وأول بابا فرنسي يرقى سده الفاتيكان[1]وكان إلى جانب "جربرت دي أورلياك ''Gerbert de orial''، الرهبان بطرس المحترم Pierre.

Besnere (1092- 1196)، وجيرا ردي كريمون Gerard de krimen (1118-1114م) وقد عمل هؤلاء تحت راية الكنيسة التي كان لها دور في دفع تكوين العملية الاستشراقية، وذلك بالتعرف على اللغة العربية وآدابها لبدء عملية التبشير، فقد بدا للباباوات أن ينشئوا الرهبة في القرون الوسطى لبث الدعوة الدينية بين أبناء الشرق في آسيا، وإفريقيا وفي الأندلس وصقلية من قارة أوروبا، وثبت لهم أنه لا سبيل لإنجاح هذا المشروع إلا بتعليم لغات المشارقة ولا سيما العربية وبعد عودة أولئك الرهبان إلا بلادهم، نشروا ثقافة العرب، ومؤلفات أشهر علمائهم، فأسست المعاهد للدراسات العربية، وكانت أول مدرسة للدراسات الشعرية في أوروبا، هي التي أسست في طليطة سنة 1250م وتدرس فيها العربية والعبرية[2].

ومن أشهر خرجيها "رايموندوس لوللس" حوالي سنة 1310م الذي كان يتقن العربية ويعرف المؤلفين العرب معرفة جيدة لا يضاهيه فيها أحد من الغربيين، حتى العصور الحديثة، وكثر إنشاء الجامعات في الغرب تم تأسيس أول جامعة فيليب أوروبا الوسطى في كراكو من مدن بولندا سنة 1361م، وبعد أربع سنوات أنشئت جامعة "فيينا" وهي أول جامعة ألمانية[3].

كما يرى الباحثين أن تاريخ نشأة هذه الحركة أو الظاهرة الأدبية والعكرية إلى ذلك الانهزام المرير الذي ألمّ بالأمم الغربيّة أثناء الحروب الصلبية حينما أحسن الغرب بالذهول والإحباط أمام قوات المسلمين والإسلام وفي هذا يقول علي محمد جريشة: "...ولكن الذي

[1] عمر فروخ، الاستشراقية بين دعاته ومعارضه، إعدادها شم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2، 2000 ص261.
[2] محمد كامل، عبادة صفحات من تاريخ الاستشراق، مجلة العالم العربي، 1960، ج1، ص344-374.
[3]محمد كامل، عبادة صفحات من تاريخ الاستشراق، ص344-374.

نشط الاستشراق أكثر وحرّكه في الاتجاه السلبي وانحرافه عن الأغراض العلمية التريهة منذ البداية، هو ما كان من إخفاق الحروب الصليبية الذي كان دافعًا للمزيد من الاهتمام بالثقافة الإسلامية بدليل الوثيقة الخطيرة التي عثر عليها أخيرًا وتتضمن وصية القديسين ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة، الذي أيقن لدى عودته إلى فرنسا انه لا سبيل غلى النصر، والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية، ولذا يتعين تحويل المعركة من ميدان السلاح إلى ميدان العقيدة والفكر..."[1].

يتضح لنا ذلك من خلال الحروب الصليبية التي دارت رحاها بين المسلمين والنصرانيين كانت سببًا راعيًا لنشئ هذه الحركة الاستشراقية، فاستدعت هذه الحروب توغل الغرب في العالم الشرقي لتسترجع خسارته الفادحة.

وهناك من يحزم أن تاريخ الحركة الاستشراقية يرجع إلى رجال اللاهوت الذين أخذوا التبشير كوسيلة لنشر تعليم الكنيسة، فسخّروا رجال اللاهوت جهودهم لخدمة الدراسات الشرقية ونشرها، وفي هذا الصدد يقول مصطفى السباعي: "وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان غلى بلادهم، نشروا ثقافية العرب وأشهر مؤلفاتها...ولم ينقطع من ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية فترجموا القرآن وبعض الكتب العربية والعلمية والأدبية[2].

- لقد رصد سمايلو فينش[3] مجموعة من آراء علماء العرب وعلماء الغرب في بداية نشأة الحركة الاستشراقية:

- محمد البهي: الذي يرى أن بداية الاستشراق كانت في القرن الثالث عشر ميلادي في بعد البلاد الأوروبية.
- إبراهيم اللبان: يرى أن البداية كانت في القرن العشر الميلادي ثم ازدهر بعد ذلك.
- أمّا علي الخربوطلي: فيؤكّد أنّ الاستشراق بدأ في العصور الإسلامية الوسطى، حينما كان العرب في الصّدارة.

[1] علي محمد جريشة، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، القاهرة، 1979، ص19.
[2] مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، دار السلام، القاهرة، 1999، ص4.
[3] أحمد سمايلو فينش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر، القاهرة، 1998 ص4-56.

- ويذهب أحمد الشرباصي: غلى أن الاستشراق، بدا تقريبًا في القرن الثالث عشر الميلادي.

- ويعيد جورجي زيدان: بدايته في القرن العاشر ميلادي، إذ أراد المستشرقون الاطلاع على ما في العربية من علوم.

- أما نجيب العقيقي: فيرجع ظهور الاستشراق إلى ما قبل الحروب الصليبية التي لم تكن في رأيه إلا نتيجة لوقوف الغرب إلى الشرق.

- أما إسحاق الحسيني: فيرى أنّه من العسير أن يحدد ظهور الاستشراق بسنة معيّنة وإنّما يحدد بالتقريب بما قبل مئة سنة من ظهور الإسلام.

- ويؤكّد أسعد داغر: ما أكده غيره من أن الاستشراق نشأ منذ القرن العاشر ميلادي.

- أما أحمد سمايلو فينش: فيقول لو شبع الباحث آراء العرب جميعًا لرآها تقترب من هذه الآراء التي سردناها...[1] .

- أما آراء الغربيين فيكمن التمثيل لها بالأسماء التالية:[2]

- يذهب الأب لامس: إلى أن أخبار الرومان قرروا دراسة العربية في مدارسهم منذ القرن الثالث عشر (13)، إلا أنّهم لم ينفذوا ذلك في فترة قصيرة عام 1519م

- ويخطئ برنارد لويس: أولئك الذين يعتقدون أو أول اتصال بين أوروبا والعالم العربي، يعود إلى الحروب الصليبيّة، فاحتكاك الغرب بالمسلمين كان قبل ذلك.

- فيما يزعم ماكس فانتاجوا: أن الاستشراق ظهر في بدايات القرن الثاني عشر، بعد دخول الصليبيين إلى القدس وتمكن علماؤهم من نقل خمسة عشرة كتابًا في الهندسة.

- ويخلص سمايلو فينش: إلى القول أن ميلاد الاستشراق كان حينما التقى الأوروبيون بالثقافة العربية الإسلامية المتفوقة على حضارتهم، وظلّت حركة الاستشراق تنمو وتزدهر حتى استطاعت تكوين صرحها العلمي في النص الثاني من القرن العشرون.

- **مراحل الحركة الاستشراقية:**

لعب الاستشراق دورًا كبيرًا في الكشف عن التراث الشرقي الذي ربّما من

[1] أحمد سمايلو فينش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، ص65.
[2] المرجع نفسه، ص97- 57.

الصعب أن يكتسب طابعًا عالميًّا إلّا بفضله لا بدافع حب الاطلاع عليه، إنما بدافع تحطيم كيان الأمة الشرقية، وقد كشفت أهداف الحركة الاستشراقية المختلفة خلال العقدين الآخرين.

يحق لنا أن نقف عند حدودها، ومن بينها محاولة سلخ الاتجاه الأدبي الحديث عند اتصاله بالأدب العربي القديم، وكسر جسر التواصل بينهما وبذلك يكون أدبنا العربي قديمه وحديثه قد واجه أكبر خطر في تاريخ مساره الطويل.

وما هذه المراحل إلا دليلاً عن الاستراتيجيات المحكمة والمدعمة من قبل حكومتها، ولا بد أن نشير إلى اختلاف الباحثين في تقسيمهم لتلك المراحل، ومن بين هذا التقسيم ما جاء به كمال أبوديب، حيث قسّم مراحل تطور الحركة الاستشراقية إلى ثلاث مراحل: بدءاً بالمرحلة الأولى: من بدايات القرن التاسع عشر، ثم المرحلة الثانية: حددها من بداية القرن التاسع عشر إلى نهاية القرن التاسع عشر حتى نهاية الستينات من هذا القرن، أما المرحلة الأخيرة فتبدأ من الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

أما نحن فقد اتبعنا الطريقة التي سلكها أحمد سمايلو فينش في كتابه "فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر"، لا شيء وغنما لدقة تقسيمه[1].

1)- المرحلة الأولى: مرحلة التكوين:

من خلال تتبعنا البوادر الأولى للحركة الاستشراقية وجدنا أنّها تعود إلى القرن الثامن ميلادي، انطلاقًا من المؤلفات الإغريقية والرّومانيّة التي أسهمت في حديثها عن الجزيرة العربية[2]، وعليه كانت الإرهاصات الأولى للاستشراق جامدة ولم تعرف حيويتها إلا بعد تصديلها لتلك الحملات الغربية المسعورة، حينما اتخذ الغرب الكنيسة مجالاً خصبًا لنمو وترعرع الحركة الاستشراقية عن طريق فكرة التبشير[3].

2)- المرحلة الثانية: مرحلة التقديم:

[1] أحمد سمايلو فينش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر ، ص97.

[2] محمد علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، ص221.

[3] محمد علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، ص221

ذاع أمر حركة الاستشراق وانتشر صيتها خاصة بعدم قيام الحروب الصليبية وبذلك تغيرت العقلية الأوروبية، حيث صبت اهتمامها على اكتشاف سر تنور العقلية العربية، هذه العقلية التواقة غلى التحرر من بعض المعتقدات البالية، التي لازالت مقدسة عند العرب، ومما راد في عقليتها حقدًا وكراهية للأمم الشرقية انهزامها وانكسارها في تلك الحروب الصليبية الاستعمارية، كونها أفرزت نزاعات تعصبية لت تأبه للإسلام بقدر ما كنت تسعى إلى المغالطة للعقليّة العربيّة إلى حدّ وصفها بالعقلية غير السوية، وفي هذا يقول أرنست نيان: "أن الساميون مثل على التطوّر العميق، فما من سامي حديث قادر على ان ينفلت خارج المطالب المنظمة التي تفرضها عليه أصوله مهما ظل نفسه حديثا، فقد فعلت هذه القاعدة الوظيفية فعلها على المستويين الزماني والمكاني فما من سامي تقدم في الزمن إلى نقطة تتجاوز مرحلة كلاسيكية"، فما من سامي قادر على أن ينفلت من أسر البيئة الرعوية الصحراوية بخيمته وقبيلته[1].

يتضح لنا من خلال نظرية المستشرق الفرنسي ارنست رينان للساميين أنه شديد الحكم على الفكر العربي أو بالأحرى متعسف في نظرته عن العقلية العربية خاصة حيث يصفها بالتطور المعاق، فهو جائر في حكمه، ولم يع بحق قيمة هذه العقلية في مدى إسهامها بانجازاتها في التطور الحضاري للإنسانية جمعاء، وهنا يحضر لنا قول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه حيث تقول: "حقًا أن قدرة هذه العقلية العربية على طبع الشعوب الرائعة"[2].

3)- المرحلة الثالثة: المرحلة الانطلاقية:

بعد أن اتضحت معالم النشاط الاستشراقي وبلغ ذروته في النيل من التاريخ الإسلامي، اتسعت دائرة الافتراءات والأباطيل المزيفة للحقائق ومبادئ الحضارة الإسلامية، وبالتالي وصل المستشرقون إلى تحقيق هدفهم أولا وهو تجسيد المزاعم المدسوسة والمدروسة بشتى الطرق والوسائل.

ومما لا ريب فيه أن الحركة الاستشراقية خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (20) عصر تنوير العمل الاستشراقي، عرفت انتعاشه وانطلاقه نوعية بفضل الطباعة ونشاطات المستشرقين، أما الطباعة فقد ساهمت في نشر أمهات الكتب

[1] كمال أبو ديب، الاستشراق، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 24-21، ص300.
[2] زيغريد هونكوه، شمع العرب تسطع على الغرب، ص ص366-367.

الأدبية والعلمية والفلسفية، ويجدر بنا أن ننبّه القرّاء بتصنيف مصطفى السباعي لبعض الكتب ودعوته إلى الحذر منها، حيث يقول: "بعض الكتب الخطيرة التي لها مكانة علمية عند بعض الناس "دائرة المعارف الإسلامية"، موجز بعض المعارف الإسلامية،"دائرة معارف الدين والأخلاق، تاريخ العرب" من تأليف فليب حنى، الحلاج الصور في الشهيد في الإسلام"، تأليف لوي ماسنيون، "محاولات في شرح الأدب المعاصر"تأليف فون جرونبام...[1]، وغيرها من الكتب وبفضل جهود بعض المستشرقين برز إسهاما المستشرقين الفرنسيين سلفسزدي ساسي 1983م، التي ساعد على ازدهار العمل الاستشراقي، وفي هذا يقول يوهان فوك:"فقد ساهم دي ساسي عبر أنشطته تلك تأثير قويًا على الدراسات بالعربية والإسلامية في أوروبا، هذا وإن استمراريته لا تعزي إلى انجازاته العلمية التي حملت بفكرته، وعروضه الشفافة بقدر ما تعزى إلى تأثير شخصيته معًا...[2]

[1] مصطفى السباعي، الاستراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، ص47-48.
[2] يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ط2، 2001، ص141.

I. نشأة الشعر العربي:

اختلفت المصادر الأدبية في نشأة الشعر العربي فبعضهما ينسب البداية إلى بني الله آدم عليه السلام، ولعلهم نظروا إلى قوله تعالى: {وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّها}، فاستنتجوا بان الشعر مما علم آدم، ولذلك نسبوا بعض الأدبيات والقطع الشعرية إليه، وشعر الجن والملائكة وهذا الرأي مرفوض، لأن آدم عليه السلام لم يكن عربي اللسان وأن تلك المقتطفات ليست بشعر حقيقي وربّما كانت مما نقل من الحضارة اليونانيّة أو الرّومانيّة.

وينسب بعض المؤرخين الشعر إلى بعض الأقوام التي بادت كعاد وثمود، نجد منهم محمد بن إسحاق والذي يقول في ذلك: لا علم لي بالشعر، إلا ما أتي به فاحمله[1].

ولكن مثل هذه لا تدعمها الأدلة ويرفضها العقل والمنطق، أما المؤرخون والباحثون المحققون فيرجعون أوليّات الشعر العربي إلى الفترة التي أرسبت فيها قواعد اللغة العربيّة الفصحى وبدأ انتشارها في الجزيرة العربية على الوجه الأكمل وحول نشأة الشعر العربي والأصول التي مكن إرجاعه إليها فنجد عدد من الآراء:

- من يرى أن الشعر العربي نشأ وتطور على السجع الذي بدوره تطور إلى الرجز[2].
- ويرى ن الشعر نشأ وتطور عن أغاني العمل والأهازيج الشعبية التي كان الناس يرددونها في سفرهم أو تلك التي كانت تغني في الجماعة للحث عن العمل أو بذل المزيد من الجهد.
- أن الشعر العربي قد نشأ عن الأهازيج والترانيم الدينية التي كانت تردد في المعابد ودور العبادة لحياء بعض الشعائر والطقوس الدينيّة ويؤيد هذا الشعر ما وجد في كتاب الأصنام لابن الكلبي من أشعار في هذا الغرض.
- كما يرى أن الشعر العربي قد نشأ بفعل التأثر بالشعر الفارسي وهذا الرأي مرفوض وذلك أنه لم يؤثّر عن الفرس قول الشعر قبل ظهور الإسلام وإنّما عرف عن أشعارهم بعد ظهور الإسلام [3].

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، المواصفات الكاملة، بيروت، دار نوبيليس، ص72.
[2] نفس المرجع، ص72.
[3] نفس المرجع، ص70.

نجد حتى الرّواة اختلفوا في كيفية بداية الشعر العربي، فمنهم من قال أن بداية والشعر العربي كانت في محاولة العرب الأوائل تقليد خفاف الإبل في الصحراء وتندرج بعد ذلك إلى أن جعلوا لها أوزان موسيقية لحذاء الإبل، وأن الإبل تطرب وتسرع في المشي عند سماع الحذاء، وآخرون قالوا إن منشأ الشعر كان السجع الذي كانوا يسمعونه من الكهان ثم تطوّر إلى الرجز وأخذ في التطوّر إلى إنشاء البحور الشعريّة المعروفة، وقال آخرون أن بداية الشعر كان مصدره الغناء ثم تدرّج بعد ذلك إلى بحر الرجز وتطوّر إلى بحور الشعر الأخرى[1].

وبعد ذلك توالت الأشعار من المهلهل بن ربيعة وامرئ القيس وطرفة وغيرهم، ويرى أن الشعر العربي نشأ وتطور عن أغاني العمل والأهازيج الشعبية، التي كان الناس يرددونها في سفرهم أو تلك التي كانت تعني في الجماعة للحن على العمل أو بذل المزيد من الجهد، لما وصل إلينا من هذا الشعر المتكامل الناضج لغة وأدبًا، إذ أنّه من المؤكّد أن الشعر العربي مر بمراحل عديدة حتى وصل شعر الشعراء أمثال امرئ القيس وطرفة، ومنذ عصر المهلهل وغيره من الشعراء بدأ ازدهار الشعر العربي وكذلك الكثير من الفنون الأدبية كالخطابة والأمثال والوصايا في إمارتين هما: إمارة المناذرة التي كانت تحت إمارة الفرس، والغساسنة تحت إمارة الروم، ثم البيزنطيون، فقد كان كبار الشعراء والخطباء والحكماء العرب يتوافدون على المنذرين ماء السماء وأكثرهم على عمرو بن هند وكانت المنافسة على أشدها بينهم، مما أفرزت إبداعات أدبية رائعة كانت شعر أم نثر من فنون الأدب من خطابة ووصايا وأمثال وغيرها[2].

أ- ما هو الشعر؟

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر، ومرجعها إلى تصوير جمال الطبيعة فالحفر يصورها بارزة، والرسم يصورها مسطحة بالأشكال والخطوط والألوان، والشعر يصورها الخيال ويعبر عن إعجابنا بها وارتياحنا إليها بالألفاظ...فهو لغة النفس أو صورة ظاهرة لحقائق غير ظاهرة،

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص71.
[2] نفس المرجع، ص73.

والموسيقى كالشعر...هو يعبر عن جمال الطبيعة بالألفاظ والمعاني، وهي تعبر عنه بالأنغام والألحان، وكلاهما في الأصل شيء واحد[1].

هذا هو الشعر في حقيقته، ولكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر الكلام المقفى الموزون، فيحصرون حدوده بالألفاظ وهو تعريف للنظم لا للشعر...وبينهما فرق كبير، إذ قد يكون الرجل شاعرًا ولا يحسن النظم، وقد يكون ناظمًا وليس في نظمه شعر، وإن كان الوزن والقافية يزيدان الشعر طلاوة ووقعًا في النفس، فالنظم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر، ويجوز سبكه في النثر[2].

وقول ابن خلدون عن الشعر "هذا الفن من فنون كلام العرب وهو المسمى بالشعر عندهم، ويوجد في سائر اللغات، إلا أنا الآن إنّما نتكلم في الشعر الذي للعرب، فإن أمكن أن نجد فيه أهل الأندلس الأخرى مقودهم من كلامهم، وإلا فلكل لسان أحكام في البلاغة تخصه، وهو لسان العرب غريب النزعة عزيز المنحنى، إذ هو الكلام المفضل قطعا قطعا متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير من كل قطعة، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتًا، ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه (ويا وقافية، ويسمى جملة الكلام إلى آخر قصيدة وكلمة)[3].

كما تقدم ابن خلدون خطوة أخرى في تعريف الشعر، فقال: "الشعر هو الكلام المبني على الاستعارة والأوصاف، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده كما قبله وبعده، الجاري على أساليب العرب المخصوصة به[4] .

فهو يجعل التقنية والوزن من شروط الشعر، ويشرط أيضًا استقلال كل بيت منها بغرضهن وهو تقييد لا باعث له، إذ قد نرى في الكلام المنثور معاني تؤثر في نفسك تأثير الشعر، وذلك كثير في كلامهم، والحكم فيه للذوق، ومن أصعب الأمور أن نعرف الشعر ونجعل له حدودا جامعة مانعة، كما نعرف الصرف أو الفلك وغرهما من العلوم والآداب.

---

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية،ص74.
[2] نفس المرجع، ص73.
[3] عبد الرحمان ابن خلدون، نقلا عن مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/ 1993م، ص488.
[4] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص73.

وعلى ذلك، يدخل في الشعر كثير من أقوال العرب التي نعدها من قبيل الأمثال أو الحكم المأثورة المبنية على الكناية، كقولهم: المرء بأصغريه لا ببرديه، ونحو ذلكن فالشعر بالمعنى لا بالوزن والقافية، يقول أحد العرب من تقدم في تعريف الشعر: "الشعر كلام وأجوده وأشعره"، وقال آخر: "الشعر شيء تجيش به صدورنا، فنقذفه على ألستنا"[1].

كان الشاعر عند البارودي وتلاميذه صناعة متقنة، وقالوا بان الشعر إبداع يعبر عن ذات الشاعر، ويصدر عن الشعور ويضطرب بالعاطفة، يقول عبد الرحمان شكري: "هو كلمات والخيال والذوق السليم، فأصوله الثلاثة متراوجة"[2].

ب- أنواع الشعر:

يقسمون العرب الشعر إلى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل وغيرها من الأغراض، وهذه كلها في نظر الشعر غير العربي نوع من أنواع الشعر يسمونه الشعر الغنائي أو الموسيقي، لأن مرجعه إلى التأثير على النفس تأثير الموسيقى.

ويقسم الشعر عند الإفرنج إلى ثلاثة أنواع:

1. الشعر القصصي: هو أقدمهم وهو عبارة عن سرد الوقائع أو الحوادث في الشعر موزونًا أو غير موزون، على سبيل القصة، وأكثرهم دينية، وأبطالها الآلهة ومعظم حوادثها عنهم وبهم، وإذا تدبرت الشعر عند سائر الأمم، وجدته أقدم آدابها، وأقدمه الديني المتعلق بالآلهة وأعمالهم كما في إلياذة هوميروس عند اليونان، ومن هذا القبيل نجد بعض الأشعار العبرانية، كسفر داود ونشيد الأناشيد، فإنها شعر ديني لكنها ليست من النوع القصصي بل من الموسيقى لان الشعر القصصي بادر في أشعار الساميين على الإجمال ماعدا السريانيين، فغن القديس أفرام نظم شيئا منه، ولعله منتسبة من اليونان.

أما العرب فيخالفون العبرانيين من حيث الشعر الديني، لأنه لم يكن عندهم في الجاهلية كما كان عند العبرانيين، ولا يعقل أنهم خالفوا إخوانهم فيه ولا بد من أنهم نظموا

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص74.

[2] عبد الرحمان شكري، ديوان عبد الرحمان شكري، جمع وتحقيق تقولا يوسف، دار المعرفة بالإسكندرية، 1960، ص95.

الأشعار خاطبوا بها هبل واللات والعزى وغيرها، واستعطفوها وصلوا لها وتخشعوا أمامها[1].

ولكن منظوماتهم في هذا الموضوع ضاعت في ثنايا الأجيال لعدم تدوينها ولانشغالهم عنها بالحماسة والفخر بسبب الحروب التي قامت بينهم قبيل الإسلام فلما جاء الإسلام انصرف الرواة عن حفظها لأنها وثنية والإسلام يمحو ما كان قبله، فاكتفوا بتدوين أشعار الحماسة والفخر، ولكن بقي من الأشعار الدينية مثلة قليلة جاء ذكرها في تراجم بعض الشعراء كأمية بن أبي الصلة وغيرهم.

2. الشعر الغنائي: قضى اليونان بضعة قرون وليس عندهم غير الشعر القصصي وفيه أخبار ألهدهم وحروبها وعلاقتها بالبشر ثم قالوا الشعر الغنائي قد نضج عندهم نحو القرن السابع (7ق.م)، على إثر الحوادث السياسية والحروب التي قامت بين الأحزاب اليونانية وتغلب فيها الشعب على الإشراف، كما تقدم فهلع الظفر قرائحهم وأعقب ذلك التنازع بين الإسبارطيين والمسنين وبين يونان أسيا الصغرى وجيرانهم، فأصبح اليونان في القرن السابع قبل الميلاد (7ق.م) أهل دولة وتمده ورخاء، فصاروا إلى حاجة شعراء يحضوا لهم على الثبات في الحرب أو يمدحون بسالتهم ويطرون أعمالهم ويصفون حضارتهم، فظهر الشعر الغنائي أو الموسيقي، وفيه المدح والهجاء والحماسة والفخر والرثاء، ووضعوا الأوزان الجديدة له.

3. الشعر التمثيلي: ويراد به في الأصل تمثيل الوقائع التي ترمي إلى الموعظة أو الحكمة سواء مثلت على المسرح أو لم تمثل ففي الشعر القصصي شيء من المشاهد التمثيلية مثل إلياذة هوميروس فالشعر التمثيلي هو الوجهة العملية من الشعر التي يراد بها تمثيل الفضائل أو الرذائل، والعرب مثل سائر الساميين أكثر ميلاً إلى الخيال والتصوّر فلم يلتفتوا غلى الشعر التمثيلي في آدابهم قبل الإسلام لكن أخبارهم وآدابهم كانت لا تخلوا من التمثيل المزيج من الشعر والنثر[2].

4. أغراض الشعر:

[1] عبد الرحمان شكري، ديوان عبد الرحمان شكري، ص74- 75.
[2] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص78.

- الوصف: مدخل فيه وصف الطبيعة الجامدة والمتحركة والطبيعة والمصطنعة.
- الغزل: وهو التسبب بالمرأة زوجة، أو محبوبة بشكل واقعي، أو تخيلي وزادوا فانعزلوا بالغلام.
- الفخر: هو اعتزاز الشاعر بشخصيته ودينه ووطنه وقوميته وتاريخه.
- الهجاء أو الهجو: هو ذكر مساوئ الخصم، وتضخيم معانيه.
- المدح: هو أشهر الأغراض الشعرية وأقلها صدقة، وأغلبه للكسب.
- الرثاء: هو مدح الميت بتعداد وآثره، وإظهار التأسف على فقده.
- الحكمة: وهي العلم والمعرفة الكاملة لكل ما يجب على الإنسان أن يعلمها وهي تتضمن عبرًا[1].

II. تقسيم عصور الأدب:

يمكن قسمة تاريخ آداب اللغة العربية حسب العصور، إذ يراد بها الكلام عن العلوم كلها معًا في كل عصور على حدة، غذ تجديد العصور في التاريخ الأدب العربي قد تم ومزال غالبًا يتم لا على أساس الظواهر الثقافية والاجتماعية فقط لكن بالدرجة الأولى على أساس الظواهر السياسية وما يكون لها من تأثير وانقلابات في العلم والأدب[2].

وعلى أساس الظواهر التاريخية، انعقاد هذا الأساس إلى تقييمات غربية كتلك أحداث هذا الاتجاه ردود فعل لدى الدارسين الأوروبيين دون الوصول إلى خصائص بديهية تسمى العصور ويمكن أن يحد منا بالطريق الصحيح إلى التاريخ الأدبي.

ونحن هنا بصدد الوصول إلى تحديد أدق لهذه العصور التي تمت خلالها التحولات في النشاط الأدبي في العالم العربي خلال أربعة عشرة قرنًا، إذ أن هذه العصور بسرعة الإيقاع، وبأحداث تواصل الفترة التي تليها بالاحتفاظ بخصائصها السابقة في مجالات كثيرة، ولكنها مع ذلك تميزت بسمات تقودها نحو الصيرورة وتلك السمات هي بداية غامضة ولكن الوعي بها يتم في الوقت الذي تكون فيه مقدمات العصر التالي قد بذات بالظهور[3].

فمن خلال نظرتنا إلى تطور الأدب العربي نميز العصور التالية:

---

[1] محمد بوزواوي، سلسلة قواميس المنار، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني وما بعدها، ص32.
[2] نبيل عبد الحق، المؤلفات الكاملة تاريخ آداب اللغة العربية، تاريخ العرب والإسلام من خلال روايات جرجي زيدان، صاحب دار نوبليس، بيروت، ص31.
[3] محمد بوزواوي، قاموس مصطلحات الأدب، ص33.

1. العصر الأول: (العصر القديم والجاهلية الأولى) من قبل التاريخ إلى القرن الخامس عشر:

لقد كان الاعتقاد السائد أن العرب حتى في الجاهلية الثانية قبل الإسلام كانوا غارقين في الفوضى والجهالة لا أمل لهم إلا الغزو والنهب والحرب في بادية الحجاز والشام ونجد وغيرها لكننا لو نظرنا إلى لغتهم في عصر الجاهلية.

فالاكتشافات الأثرية أيدت هذا الرأي بما أظهرته من بقايا تمدن اليمن قبل الإسلام ببضعة عشر قرنًا، والتي لم يظهر منها إلى الطفيف والحمل رابيون أو عمالقة العراق هم أقدم من أنشأ المدارس لتعليم الصغار وقد كشفوا في آثار زيبار أنقاض مدرسة لتعليم الأطفال وكانت أول مدرسة في التمدن القديم اي منذ أربعة آلاف سنة وكان فيها أحجار منقوشة عليها دروس للأطفال والأحداث في الحساب[1].

كما اكتشفوا الكثير من الكتب والرسائل المنقوشة على الأحجار أكثرها الحمو رابي، وفيها الصكوك والعقود والمسائل الرياضية والأرصاد الفلكية والنصوص التاريخية والأدعية الدينية، من أكبر الأدلة أن المرأة في ذلك العهد كانت متمتعة بحريتها واستقلالها وكن يتعايطن المهن القلمية، منهم من انتظمت في خدمة الدواوين والمصالح الأميرية غذ اقتصر فضل حمو رابي أو عمالقة العراق على ما شدوه فيها بين النهرين وما خلفوه من آثار مدينتهم وعلمهم فقد نشروا آدابهم وديانتهم وشريعتهم في جزيرة العرب خصوصًا في البقاع العامرة منها اليمن ومدينا الحجاز[2].

- **الجاهلية الثانية أو (العصر الجاهلي قبل الإسلام) من القرن الخامس للميلاد إلى ظهور الإسلام:**

بالحكم على ما تقدم من أحوال الجاهلية الأولى، مبني على الحدس والتخمين لاستغراقه في القدم وضياع أخبار تلك الجزيرة بتمادي الأيام ولعلهم إذا نشطوا للحفر والتنقيب كشفوا الستار عن هذه الظنون.

2. العصر الثاني: (عصر صدر الإسلام) من ظهور الإسلام إلى 41هـ:

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص34.
[2] المرجع نفسه، ص34.

هو عصر الذين عملوا دعوة محمد صلّى الله عليه وسلّم ورسالة الإسلام في الجزيرة العربية بعد وفاة محمد صلّى الله عليه وسلّم 632م وحملوا الدين الجديد إلى العراق والشام، فشغل أهلها في أثناء حياة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ومعظم الراشدين بالفتوح والجهاد والأسفار، وجاء الإسلام بالقرآن والحديث فأخذ بجامع قلوبهم واستقرار في المكان الأول من أدناهم، وغيّر من عاداتهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم فظهر أثر ذلك في علومهم وآدابهم[1].

وفيما يخص الأدب فإن القمة في هذا العصر تأتي في عام 650م- 680م، ولقد كان ذلك الجيل هو الذي شيّد الإمبراطورية الجديدة على الأقاليم التي كانت تحت يد البيزنطيين والفرس، وهي أقاليم كانت الغربية آنذاك معروفة فيما قبل ظهور الإسلام، أما الذي يميز ذلك العصر فهو الدور الفعال الذي لعبته الكوفة والبصرة، وهما حاضرتان تولدتا عن تلك الفتوحات التي قامت وسط الجزيرة وشرقها، واتخذوا منها منطلقًا لتحركاتها نحو الشرق والشمال وهاتان القلعتان حققتا الإبداع العقلي والشعري خاصة، كما تميز العصر بظاهرة لغوية ووضع الإطار الذي سوق تسيير كل حضارة عربية إسلامية حتى استبدلت للهجات التي كانت مستعملة في مجمل المجال العربي لهجة كان شيوعها مقصورًا على المجال الشعري حتى نزول الوحي القرآني، وارتفعت بفضل القرآن إلى مصاف لغة دينية حاملة لرسالة الله الجديدة إلى المؤمنين وخلال جبلين على وجه التقريب ساهمت حركة الفرس العميقة للعربية والإسلام في العراق في جعل ذلك الإقليم بوتقة تندمج من خلالها الظاهرة الإيرانية في تلك الظاهرة القادمة من المجال العربي[2].

3. العصر الثالث: العصر الأموي:

نريد بالعصر الأموي العصر الذي كانت الدولة الإسلامية فيه حوزة الأمويين بالشام منذ بويع معاوية بالخلافة سنة 41هـ، إلى أن قهرهم غلبها العباسيون سنة 132هـا، ويختلف العصر الأموي عن عصر صدر الإسلام اختلافًا كبيرًا من أوجه كثيرة، إذ يعد انتقال الدولة

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ص35، ص36.
[2] جرجي زيدان، سلسلة الأنيس الأدبية تحت إشراف مصطفى سواق،، ص329.

الإسلامية إلى بني أمية انقلابًا عظيمًا في تاريخ الإسلام لأنها كانت في زمن الراشدين، خلافة دينية فصارت في أيامهم أرنية بعدها شورية، وقام معاوية يطلبها وينازع أعمام البنى وأبناء عمه عليها والمسلمون يعتقدون حق هؤلاء فيها وأن معاوية طليق لا تحل له خلافة، ولكنه تمكن بدهائه وسعة صدره من التغلب عليهم جميعًا فأسس الدولة الأموية.

ولخطة القمة في هذا العصر تكمن في سنة 725م أما الظواهر التي تحكم بدايات هذا العصر، فقد نشأت وتطورت في الشام والعراق والحجاز حيث يوجد المركز العصبي الذي كان يدير آنذاك منطقة الشرق الأدنى وفي هذا المجال ظاهرة مدهشة، ففي خلال الفترة التي مثلت طلائع هذا العصر، وعلى الرغم من الوجود الأسباب المشجعة، وعلى الرغم من حماية السلطة المركزية، فإن الشام لم تمثل المركز الحقيقي للإبداع الأدبي[1].

4. العصر الرابع: (العصر العباسي من 132هـ- 656هـ وأقسامه):

تختلف الدولة العباسية من الأموية اختلافًا بيّنًا، إذ كانت الدولة الأموية عربية بدوية، واصطنعت الدولة العباسية صيغة فارسية إلا من حيث آداب اللغة فظلت عربية، وفي أيامها نضجت آداب العرب وعلومهم، ونقلت علوم القدماء إلى لغتهم، ونبغ الشعراء والأدباء والنحاة والمؤرخون واللغويون والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والفلاسفة والأطباء وغيرهم.

وقد انقلبت آداب اللغة العربية في أثنائها بتقلب الدول والأمم على ما اقتضته الانقلابات السياسية والاجتماعية، وقد قسم العباسي إلى أربعة ادوار أو عصور وهي:

1- الدور أو العصر الأول: من ظهور الدولة العباسية سنة 132هـ إلى أول خلافة المتوكل سنة 232هـ وسمي " العصر العباسي الأول".

2- العصر العباسي الثاني: من خلافة المتوكل سنة 332هـ إلى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة 234هـ .

[1] إبراهيم صحراوي، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، إشراف: مصطفى سواق، سلسلة الأنيس الأدبية 1، ص352.

3- العصر العباسي الثالث: من استقرار الدولة البويهية سنة 234هـ إلى دخول السلاجقة بغداد سنة 447هـ[1] .

4- العصر العباسي الرابع: من دخول السلاجقة بغداد إلى سقوطها في أيدي التتار سنة 656هـ، ويقال بالإجمال أن في زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية أرقى أحوالها.

- العصر العباسي الأول: أو المائة الأولى من سيادة العباسيين في بغداد 132هـ-323هـ. هو عصر الإسلام الذهبي، بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها في الثورة والحضارة والسيادة، وفي نشأت أكثر العلوم الإسلامية، ونقلت أهم العلوم الداخلية وكان دور الخلفاء آهلة بالأدباء والشعراء والعلماء، من بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في أبان مجدى، وكانت الدولة العباسية في أكثرها صاحية للسيادة على العالم الإسلامي وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية، فإن الإسلام هزّ أركانه ونبّه أهله، فنهض الفرس والترك والتتار والهنود، حتى أهل الصين واليابان فإنهم واهبة الصلاحية أدبية في اثناء العصر العباسي الأول أو على أثره ونبع في الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من فحول الشعراء على عهد دول طالع، وكان العباسيون في دورهم الأول يحبون العلم ويقدمون العلماء واشتغل اليابانيون في ذلك العصر أيضًا باصطلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية ونبغ فيهم الشعراء والكتاب والمصوّرون[2].

- **مميزات العصر:**

ويمتاز العصر العباسي الأول بأنه من تولى فيه عرش بغداد كان من الخلفاء العلماء، فرغبوا في العلم وإجلال العلماء والأدباء وسهلوا نزوحهم إليهم وأجروا الأرزاق عليهم وبالغوا في إكرامهم وقربوهم وجالسوهم وآكلوهم وجادلوهم وعولوا عل آرائهم، فلم يبق ذو قريحة أو علم أو أدب.

ولا يزهو العلم إلا في ظلّ أمير يتعهّده ويأخذ بأيدي أهله، والناس كما يكون ملوكهم وخلفاء العصر العباسي الأول من أكثر الملوك رغبة في العلم.

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية3، ص15.
[2] جربي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية 3، ص16.

فالدولة التي يكون ملوكها وأمراؤها على هذه الصورة يجدر بها أن تزهو بالعلم والعلماء واعتسر هذه القاعدة في سائر عصور آداب اللغة من أول الإسلام، فأنك لا تجد نهضة إلا كان للملك أو الأمير أو الرئيس تأثير كبير فيها ذلك شأن الأمم في الحكم المطلق، وإرادة سريعة المملكة[1].

- العصر العباسي الثاني أو المائة الثانية من العصر العباسي الثاني من سنة 232 هـ- 434هـ: ويبدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة 232هـ، وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة 334هـ، وقد يسمى العصر التركي لتسلط الأتراك فيه على أمور الدولة تميز له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه وأما الأتراك فأول من استكثر منهم وقدمهم في دولة المعتصم.

وفي هذا العصر ترجمت الثورة إلى اللغة العربية ترجمة لا تزال باقية ويغلب على الظن أنها ترجمت كلها أو بعضها إلى اللغة العربية قبل الإسلام ثم ترجمت ترجمة أخرى في زمن المأمون على يد أحمد بن عبد الله بن سلام ورأينا بعض أدباء ذلك العصر ينقلون عنها فصولاً من أخبار الخليفة وربما ترجمها سواه أيضًا، ولم يبق من تلك الترجمات شيئ إلى الآن له سعديا[2].

- **العصر العباسي الثالث (أو المائة الثالثة من الدولة العباسية 334هـ-447هـ):**

يبدأ هذا العصر باستقرار الدولة البويهية سنة 334هـ وينتهي بدخول السلاجقة بغداد سنة 447هـ، وقد قلنا في كلامنا عن العصر العباسي الأول عصر الإسلام الذهبي، ونعني ذلك من حيث صنعة الدولة واتساع السلطان، وفيه نقلت العلوم القديمة إلى العربية، وأما عصر الإسلام الذهبي للعلم خاصة، فهو المائة الثالثة للدولة العباسية إذ فيه نضجت العلوم على اختلاف موضوعاتها وتم نموها وظهرت الكتب الوافية في أكثرها ولا سيما في اللغة وعلومها.

- **أسباب النهضة في هذا العصر:**

حدثت هذا العصر العباسي الأول نهضة علمية أعقبها في العصر العباسي الثاني، فتنور على إثر البحران السياسي الذي أخذ في نفوس رجال الدولة حتى انشغلوا بأنفسهم عن

[1] المرجع نفسه، ص30.
[2] جرجي زيدان، ص235 ومابعدها.

تنشيط العلم، فكانت المائة الثانية من الدولة العباسية فترة تكوين غرس العلم[1] .

وبدأ استبدادهم في أيام المتوكل على الله لأنه كان يكره الشعبة العلوية، وهم من الفرس، فاستبد بهم وزاد في رعاية الأتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة، ثم أغراهم ابنه المنتصر، أو هو غره، على قتله فقتلوه[2].

وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء وولوا المنتصر بعده ولم تظل مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر، فمات وضميره يخره، وتولى بعد المستعين بالله سنة 228هـ، ثم المعتز بالله سنة 251هـ وقد استفعل أمر الأتراك استفحالاً عظيمًا، ومما يحكى عن استبدادهم بالخلفاء أنه لما تولى المعتز فعدّ خواصه وأحضروا المنجمين فقالوا لهم: انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة[3].

- **مميزات هذا العصر:**

يمتاز العصر العباسي الثاني بالنظر إلى آداب اللغة بأمور تمت فيه هي:

1- استقرار الخط العربي على القاعدة التي وصلت إلينا وقد وضعها أو ضبطها أبن مقلة المتوفي سنة 328هـ.

2- ظهور الأثر الانقلاب الأدبي في ألفاظ اللغة العربية، فتنوعت معاني بعضها حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم، وشت ذلك على أدباء اللغة فوضعوا المقالات أو الكتب في انتقاء ذلك وإصلاحه، ولكنه قلمًا أفاد لأنه ذلك التنوع حدث بطبيعة العمران وممن انتقده ابن قتيبة في كتابه "أدب الكتاب".

- **العصر العباسي الرابع (القرنان الأخيران من الدولة العباسية 447هـ-656هـ):**

هو آخر العصور العباسية يبدأ بدخول السلاجقة بغداد سنة 447هـ، ينتهي بدخول بغداد المغول سنة 656هـ على يد هولاكو وانتقال الخلافة العباسية إلى مصر والذي جرت فيه انقلابات سياسية كان لها تأثير كبير في المملكة الإسلامية والأمم الإسلامية من هذه الانقلابات نجد:

---

[1] نبيل عبد الحق، المؤلفات الكاملة من خلال روايات جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ط1، ص31.

[2] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية 3، ص232.

[3] نفس المرجع، ص232.

أ- دخول السلاجقة بغداد.

ب- اختلاط الصليب بالأهليين ولا سيما المسيحيين وحملهم على الشام وفتحهم لكثير من بلدانهم على الساحل قبل أن من الخطر أن نهمل مصطلح الأدب العربي الذي توارثناه جيلا بعد جيل، وأصبح بشكل تراثًا ضخمًا عاهرًا بالكنز والعطاءات العلمية والفنية، فالعربية كما هو معروف لغة القرآن والحديث الشريف، والحفاظ عليها فريضة، فضلاً على أنها اللغة الأولى والأساسية للأداب الإسلامي ضمنيًا هو أدب عربي بالدرجة الأولى إذ أن أدبنا العربي منذ فجر الدعوة ومرورًا بعهود الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والعثمانيين وغيرهم[1].

ج- كما دول الأندلس وذهبت وحدتها كما انقسمت إلى إمارات، كما انقسمت الدولة العباسية قبلها.

د- ظهور المغول وحملهم على المملكة الإسلامية في أول القرن السابع، واكتساح مدنها وأحرق مكاتبها وخربها وقتل أهلها[2].

- **العصر الخامس (العصر المغولي من 650هـ- 923هـ):**

يبدأ هذا العصر بسقوط بغداد في قبضة المغول على يد هولاكو سنة 656هـ وينتهي بدخول العثمانيين مصر على يد السلطان سليم الفاتح سنة 923هـ وكان العالم الإسلامي في أثنائه أكثر في سيادته المغول سلالة جنكيز خان وانقسم غلى ثلاثة أقسام: بين المغول والأتراك والعرب، امتدت سلطة المغول فيه من حدود الهند شرقًا إلى حدود سوريا عربًا تتخللها سيادة الفرس والترك فترة قصيرة في فارس والعراق، وحكم الترك من حدود سوريا شرق إلى آخر حدود مصر غربًا، وشاد العرب أو البربر فيما وراء ذلك غربًا إلى شواطئ الأتلانتيكي وفي اليمن.

[1] جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ، ص333.

[2] نبيل عبد الحق، المؤلفات الكاملة من خلال روايات جربي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ط4، القسم2، ص11.

كانت مصر والشام في حوزة السلاطين المماليك من سنة 647هـ إلى 623هـ، وهم أتراك وشراكسة، وكانت آسيا الصغرى في حوزة السلاجقة ثم أخذها العثمانيون وكلاهما من الترك وكانت العراق وفارس في سلطة الدولة الجانية وهي مغولية، وانقسمت إلى دولتين فارسيتين: الجلايرتية والمظفرين، وآخريت تركيبتين القرافونلية، والافاقيونية وكانت تركستان وأفغانستان في قبضة الشفطائية[1] .

- **مميزات هذا العصر:**

انتقال مراكز العلم والأدب فيه من بغداد وبوخارى ونيسابور والري وقرطبة وإشبيلية وغيرها من مدن العلم في العصور العباسية إلى القاهرة والإسكندرية وأسيوط والفيوم ودمشق وحمص وحلب وحماه وغيرها من مدن مصر والشام، كما اشتهرت الهند بنبوغ الأدباء في ظل سلاطين دلهي، واسيا الصغرى في عهد السلاجقة والعثمانيين، وفي غفريقية تحت سيادة البربر، إذ كثر أسماء الشعراء والأدباء والعلماء في هذا العصر أمثال الدمشقي والحلبي والقاهري والفيومي والأسكندري والمقدشي والحموي والسيوطي والحمصي والتونسي والفبريكي واللواتي والكليوتي والباكوري والبروسي وغيرهم[2] .

- **العصر السادس (العصر العثماني): من فتح العثمانيين مصر 923هـ إلى مجئ نابليون إليها سنة 1213هـ:**

نشأت الدولة العثمانية بآسيا الصغرى أثناء العصر المغولي، وبعد أن رسخت قدم العثمانيين فيما قطعوا البحر كأوروبا، ففتحوا القسطنطينية سنة 857هـ، وتوغلوا في مماليكها وإماراتها إلى أن حاصروا فيينا، ونشروا لواء الإسلام على شبه جزيرة البلقان في شرقي أوروبا لكنه تقاص كون الإسبان مازالوا يحاربون المسلمين العرب، ويفتحون البلد حتى أخرجوهم منها كلها سنة 897هـ [3].

- **العصر الأخير: عصر النهضة الحديثة من سنة 1801 إلى أواخر القرن العشرين:**

[1] نبيل عبد الحق، المؤلفات الكاملة من خلال روايات جربي زيدان، ص167.
[2] نفس المرجع، ص168.
[3] نبيل عبد الحق، المؤلفات الكاملة من خلال روايات جربي زيدان، ص168.

تبدأ هذه النهضة بخروج الفرنسيين من مصر سنة 1801، ويختلف هذا العصر عن وسائر عصور آداب اللغة كما يختلف أحواله الاجتماعية والسياسية، وأهمها تأثير أوروبا فيه، لأن الآداب العربية مازالت منذ ظهور الإسلام ضمن دائرة المدينة الإسلامية، وأن تكيف مع أطوار المدينة لكنها لم تخرج عن دائرتها وكانت تنمو نموًا داخليًا فيها ثمار قرائح أبنائها، أما قي هذه النهضة فقد نقل إليها سائر أسباب المدينة الحديثة وهي تختلف في أشكالها وأسلوبها عن مدينة المسلمين، فانتقل أصحابها من طور إلى طور كما انتقلوا في صدر الدولة العباسية عن ترجمة علوم القدماء إلى العربية، لكن الدولة العربية كانت يومئذ في إبان تكونها ونشاطها فهضمت ما دخل عليها من علوم الأمم الأخرى وصبغته بصبغتها العربية الإسلامية، أما في هذه النهضة فغلب تيار المدينة الحديثة على أبنائها فاضطروا إلى السير معه، رغم ما أدهشهم منه لأول عهدهم به واستغربوه واستهجنوه لمخالفته ما تعودوه، وقد أضاف الجبرتي في ذكر ما أدهشه من أحوال الفرنسيين فوصف موائدهم وكيف يأكلون ويشربون ويلبسون، وما شاهده من سائر أعمالهم العلمية فالكيميائية وكتبهم المصورة وأدواتهم[1].

لذلك كان الأقدم على تقليد الإفرنج في مدينتهم شاقًا على الشرقيين لما تعلمه من خطر الانتقال الاجتماعي فجأة من حال إلى حال مثل خطر الانتقال من الحرارة الشديدة إلى البرودة دفعة واحدة لكن الطبيعة تتدارك ذلك بما فطرت عليه الأمم من التمسك بعاداتها وتقاليدها وآدابها المتوارثة ولا سيما ما كان متعلقًا منها بالدين أو الشرع، حتى بناء المنازل وتوسع الشوارع مما لا علاقة له بشيء من ذلك لا يسهل الانتقال منه من طراز إلى طراز فكانوا إذا لم يروى بدامته استعانوا عليه بفتوى سرعية.

ذكر المرحوم علي بابا مبارك في خططه عن الكلام عن إنشاء السكة الجديدة في القاهرة: أن محمد علي لما اتسع نطاقًا لتجارة وكثر الإفرنج، وتكاثرت المركبات وتعسر السير داخل الأرقة القديمة أراد إنشاء السكة الجديدة فاصدر أمره بإتباع الأملاك التي تعترض هذا الشارع في مروره، لمنه لم يشرع في فتحه إلا بعد أن استفنى العلماء في ذلك، فأفتوه بأن يجعله يمر فيه حملان حاملان من غير قبول سائر أسباب المدينة لا علاقة

[1] إبراهيم صحرواي، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، ج4، ص21.

بالاعتقادات والعادات فإن منشئ الطباعة العربية في الآستانة لم يقدم على ذلك إلا بعد استصدار الفتوى الشرعية، ولما أراد المصلحون إدخال العلوم الطبيعية على الأزهر لم يستطيعوا ذلك إلا بالفتوى[1].

1- إنشاء المدرس الحديثة:

تعني المدارس التي أنشئت على نظام مدارس أوربا بتعليم العلوم الحديثة، وكانت مصر والشام أسبق سائر العالم العربي لاقتباسها.

2- الطباعة العربية:

الطباعة على الإجمال قديمة جدًا، والمشهور أن الصينيين أقدم من طبع على الحجر أو الخشب المحفور وهي أقدم طرق الطباعة، وعثروا في آثار بابل على قوالب بارزة الحروف كان الكلدانيون يطبعونها على آجر وهولين، ويغلب أن يفعلوا ذلك فيما يريدون نشره من أوامر الحكومة، فيطبعون منه نسخًا عدة، فالشرقيون أسبق الأمم إلى هذا الفن، وأما الطباعة بالحروف المتفرقة التي تجمع منها الكلمات على نحو ما هو شائع اليوم، فلم تكن معروفة من قبل القرن الخامس عشر ميلادي، والمشهور أن صاحب هذا الاختراع غوتنجرج الألماني، وأول كتب فيه التوراة سنة 1450م، شم شارع اختراعه هذا في أروبا حتى بلغ ما هو عليه الآن[2].

3- الصحافة العربية:

أسبق الأمم إلى الصحافة هم الصينيون، ذكروا أنهم نشروا الجريدة سنة 911ق.م لعلها من قبيل منشورات الحكومة، وكان للرومان صحيفة يومية تصدر على عهد بوليوس قبصر في القرن الأول قبل الميلاد سموها "الأعمال اليومية" كانوا ينشرون فيها أعمال الحكومة والأخبار المهمة ويقال أنها أنشأت سنة 961 ق.م ولعل بعض الدول الأخرى كانت تفعل مثل ذلك، أما الصحافة الحديثة فنشأت في ألمانيا بأوساط القرن الخامس عشر على إثر اختراع الطباعة، ولم تتكيف بشكلها المعروف، إلا في البندقية، فصدرت أول صحيفة فيها

[1] إبراهيم صحرواي، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، ص22.
[2] إبراهيم صحرواي، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، ص73.

سنة 1536م سموها "غازنة" باسم النقد الذي كانت تباع به، ثم صدرت الصحف الإنجليزية سنة 1622م، والفرنسية سنة 1631/، وهكذا في سائر مدن أوروبا[1] .

[1] نفس المرجع، 187.

I. تاريخ الأدب العربي عند المستشرقين:

من بين الدراسات العربية التي تعتبر من الفنون الثقافية العربية التي اهتم المستعربون الفرنسيون بها، حيث عملوا على نشر المخطوطات، وذلك باعتمادهم على ترجمتها إلى اللغة الفرنسية أو الاقتباس، كما أسهموا في إلقاء المحاضرات عنها أو تأليف كتب تبحث فيها من قريب أو بعيد، حيث تمت عدة ترجمات في القرنيين 12 و13 من اللغة العربية إلى اللاتينية في علوم فلسفية وطبية ورياضية وفلكية، لأنها تترجم إلى الفرنسية والتي أصبحت فيما بعد قومية للثقافة والعلوم والآداب[1].

1- أنواع الدراسات العربية:

أ. الدراسات اللغوية:

امتدت أنشطة المستعربين الفرنسيين إلى ميادين كثيرة في مجال الدراسات اللغوية العربية لأنها كانت تشكل المفتاح الذي لا بد منه لأي مستعرب حقيقي وهذا من أجل أن يفتح به باب الثقافة العربية على مصرعيه، ولم يسبق أن تكون مستعرب تكون تاهًا وسليمًا من غير أن يمر بمرحلة التعلم العربية لغة أجنبية بصورة من الصور في مدرسة أو الاحتكاك بالبيئة اللغوية العربية مباشرة مع قصد التعلم وقد انتصبت اهتمامات المستعربين اللغويين على دراسة العربية الفصحى من الإفادة من نصوصها القديمة والحديثة معًا، ثم أخدوا يهتمون بدراسات اللهجات العربية المختلفة في المشرق العربي ومغربه[2].

لذلك فإننا نستعرض بما يلي أنشطة المستعربين في كلا المجالين وذلك بين ما أنتجوه من أعمال في الاتجاهات التالية:

- **تأليف الكتب في النحو العربي:**

1. وضع بوستل سنة 1538م كتاب في قواعد اللغة العربية ونشره في باريس.
2. ووضع دوسافاري 1784م كتاب في النحو العربي وقدمه للحكومة الفرنسية بعنوان قواعد اللغة العربية العامية والفصحى، وقد نشر في باريس 1813م يد لا نفليس بالتعاون مع ميشيل صباغ بعنوان النحو العربي.

---

[1] محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة ثقافية في يناير 1978، بإشراف أحمد مشاري العرواني 1923-1990، عالم المعرفة، نوفمبر 1992، ص115.

[2] نفس المرجع، ص120.

3. وألف هربن 1803م كتاب في أصول العربية العامية[1].
4. ووضع برون 1832م كتابه قواعد العربية ونشره في باريس.
5. ووضع برون أيضا في السنة نفسها كتاب بعنوان العربية العامية في الجزائر.

ب. وضع المعاجم اللغوية:

أسهم المستغربون الفرنسيون في وضع المعاجم اللغوية الثنائية أو الثلاثية لما لها من أهمية خاصة في تقريب ما بين اللغتين العربية والفرنسية وهذا من أجل إزالة الإبهام لإحداهما، والمعجم كما هو معروف هو الدليل الأول للمتعلم المستجد، كما أنه النرجمان الذي لا غنى للباحث المجرب أو المترجم الأريب عنه، فهو الذي يقودنا إلى معاني المفردات التي يؤلف مجموعها مادة اللغة وهو الذي يفك لنا أسرار العبارات، تراكيب لغوية في سياق الكلام الحي.

وقد كان نشاط المستغربين في هذا الميدان واسع، فأنتجوا ولا يزالون ينتجوا عددا من المعاجم الفرنسية أو الفرنسية العربية، وهذا من أبرز المعاجم المتسلسلة بحسب ظهورها:

1. حقق كوسان دوبرسوفال (المعجم العربي الفرنسي) الذي كان إلياس يقطر قد وضعه وتم نشره في مجلدين 1828- 1829م، ثم أعيدت طباعته 1848م، وطبع مرة ثالثة 1864م.
2. وصنف مارسيل 1837م معجمه (كنز المصاحبة) وهو معجم فرنسي –فرنسي عامي.
3. ونشر كارنيميرسكي، في باريس 1860 قاموسًا عربيًا فرنسيًا في مجلدين.
4. ووضع شربونو معجمًا فرنسيًا – عربيًا في مجلدين، نشره سنة 1876 بباريس.
5. وصدر لماشويل في الجزائر، معجم عربي فرنسي في السنوات 1877، 1881، 1917م[2].

[1] محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص120.
[2] محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، 121.

ج. نشر الكتب النحوية العربية وترجمتها:

1. نشر دوساسي (ألفية بن مالك) مع شرح لها وتعليق عليها، وترجمتها سنة 1834م.
2. ترجم برينيه سنة 1846م كتاب الأجرومية في قواعد العربية لمحمد بن داوود الصنهاجي، وذيل الترجمة بملحق لتفسير الكلمات العربية.
3. ونشر غوغويه في لندن سنة 1877م شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام.
4. ونشر هو نفسه أيضا (ألفية بن مالك) مع شرح لها وحواش عليها بالفرنسية، في بيروت 1888م.
5. ونشر بينتو في قسنطينة بالجزائر سنة 1887م ألفية ابن مالك كذلك، متنًا وترجمة وتعليقًا.
6. وأصدر ديرنبورغ شرح كتاب سبويه، متنًا وترجمة مع مقدمة وحواش في رهاء لألف صفحة جزأين في باريس سنتي 1881 – 1889م[1].

د. تأليف الدراسات اللغوية حول العربية الفصحى واللهجات العامية:

1. نشر دبلا بورت في الجزائر 1836م كتاب بعنوان بحوث في اللغة العربية.
2. ونشر رينان كتابه المشهور تاريخ اللغات (السامية) في جزأين في سنتي 1853م، 1862م، ويتناول فيه اللغة العربية تناول المقارنة.
3. ونشر رينو كتاب بعنوان اللغة العربية في سوريا 1857م.
4. وألف مونك دراسة بعنوان تأثير اللغة العربية وآدابها في اللغة العبرية بهد التوراة، ونشرها بباريس سنة 1857م.
5. ونشر بار تيلمي 1905م رسالة في لغة حلب العامية.
6. ونشر هو نفسه أيضا سنة 1906م نبذة عن لهجة القدس.
7. وأصدر كانتينو، وهو من أبرز دارسي للهجات العربية من المستعربين في النصف

[1] نفس المرجع، ص123.

الأول من القرن العشرين، ويعد رائدًا في (الجغرافية اللغوية وأطالسها)، لهجة الهرب تدمر في جزأين صدرًا ضمن منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، بيروت، سنة 1934.

8. ونشر هو نفسه أيضًا كتابًا بعنوانك بعض لهجات بدو العرب في الشرق، ضمن منشورات كلية الآداب بالجزائر سنتي 1936- 1937م[1] .

وكان المستغربون الفرنسيون يلعبون أحيانًا إلى ترجمة بعض الدراسات اللغوية المؤلفة بلغة أخرى غير العربية، وبين أيدينا على سبيل المثال فقط نموذجان هما:

أ- موجز علم اللغة السامي: من تأليف المستعرب الألماني المعروف كارل بروكلمان إذ قام المستعربان الفرنسيان كوهين ومارسيه بمترجميه إلى اللغة الفرنسية، ونشراه في باريس 1910م.

ب- العربية من تأليف المستعرب الألماني المعروف أيضًا يوهان فوك وترجمه إلى الفرنسية ووضع مقدمة لترجمته المستعرب الفرنسي كانتينو، ونشره في باريس 1955م.

2)- الدراسات الأدبية:

وتأتي هذه الدراسات لتشكل ميدانًا واسعًا جدًا من ميادين البحث عند المستعربين الفرنسيين وذلك لأن الأدب عمومًا تعبير عن روح الأمة التي تنتجه وصورة لعليتها ومزاجها، كما أنه تمثيل لبيئة الأمة الطبيعية ولنظمها الاجتماعية، وكان الأدب العربي موضع دراسة هؤلاء المستعربين من أجل التعرف على ذلك كله.

وكان اتصال المستعربين الفرنسيين بأدبنا العربي استجابة لتطور الذوق الأدبي في بلادهم في أواخر القرن السابع عشر ومطالع القرن الثامن عشر، إذ كان الفرنسيون قد ضاقوا درعًا بالآداب اليونانية والرومانية وصلتها بنفوسهم بعدما استوعبوها، فطفقوا يبحثون عن عوالم جديدة لم يسمعوا بها من قبل في الآداب المشرقية، وقد أثبت النجاح (ألف ليلة وليلة) وراوحها في فرنسا خاصة والغرب الأوروبي عامة، بعد أن ترجمها إلى الفرنسية أنطوان غالان كما مر بنا آنفًا وجود هذا الجو الأدبي المتقبل الجديد، كما أنه فتح الباب واسعًا للبحث في آداب الأمم الشرقية وفي طليعتها الأمر العربية التي كان الغرب قد

[1] محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص124.

استفاد منها العلوم العقلية والتجريبية والتأملية، عن طريق الترجمة التي كانت الجسر الذي انتقلت عليه تلك العلوم آنذاك[1].

كانت الرحلات قد أخذت تزداد في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر إلى البلدان العربية، وكان الرحالة يقصون، عند عودتهم غلى أوطانهم، أحاديث رحلاتهم وانطباعاتهم ومشاهداتهم وما جمعوا من معلومات حول بعض جوانب الحياة في الشرق بأسلوب ممتع شيق فيه شيء من المبالغة والزخرفة والتلوين الساحر.

وقام الباحثون بتأليف شيء من الكتب عن الشرق وحضارته، وأخذ الفرنسيون يقرؤون ما يكتبه هؤلاء الباحثون عن الشرق عامة والعرب خاصة ولعل أقدم النصوص الفرنسية الشاملة في هذا المجال (المكتبة الشرقية) التي صنفها دير بلو وأراد لها أن تكون أشبه بموسوعة تتناول علوم الشرقيين وتاريخهم وآدابهم وأديانهم ونظمهم وعاداتهم وأساطيرهم، وهنا الأثر هو الذي مهد الجو لتعرّف الفرنسيين على الآداب العربية[2].

وكانت مكتبة ديربلو الشرقية هي التي أوحت بإنشاء هذه الموسوعة، واتفق على أن يكون مقرها بليدن في (هولندا)، وأن تصدر بثلاث لغات هي: الفرنسية والألمانية، والإنجليزية، وبدأت طبعتها الأولى تصدر سنة 1913م، وكانت موادها مرتبة على حروف المعجم.

فكان غالان قد شارك ديربلو في القسم الأخير من هذا العمل، ثم أشرف بعد وفاته 1695م، على إتمامه وإصداره كله وحده وقد جمع ديربلو ومن بعده غالان، في هذا العمل كل المواد والمعلومات التي كانت معروفة عن الشرق المخطوطة، بعدما ترجماها إلى الفرنسية.

وربما كان بوسعنا أيضا أن تتخذ من هذه المكتبة نفسها بداية حركة الاستعراب الفرنسي تحديدًا، تلك الحركة التي عينت باطلاع الفرنسيين على كل الشؤون العربية من لغة وآداب وتاريخ وعقائد جغرافية، إلى غيرها من الميادين[3].

- بإمكاننا أن نهم تاريخ هذه الحركة إلى أربعة مراحل:

[1] محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص126.
[2] نفس المرجع، ص127.
[3] محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص128.

أ. وهي تمتد من وفاة ديربلو، سنة1695م، إلى السنة التي تأسست فيها بباريس المدرسة الخاصة بتعليم اللغات الشرقية الحية أي سنة 1795م، ويمكننا أن نصف هذه المرحلة بأنها "كانت مرحلة تلمس الطريق إلى الطريق العربية، وفيها تكونت الاستعدادات اتجاه إلى هذه الدراسات في نفوس بعض المثقفين الفرنسيين نتيجة للآثار التي تركتها في تلك النفوس ترجمة قصص (ألف ليلة وليلة) في أوائل هذه المرحلة[1].

ب. مرحلة التكون: وهي تمتد من السنة التي أسست فيها المدرسة المذكورة آنفًا إلى سنة 1895م التي تقرر فيها إنشاء الموسوعة الإسلامي E.I باقتراح من المؤتمر الدولي العاشر للمستشرقين، المنعقد في جنيف تلك السنة، ويمكن وضع هذه المرحلة بأنها تتميز ب "ترسيخ الدراسات العربية في فرنسا وبثها في عدد من دول أوروبا على أساس من المنهجية والتنظيم" وتأكدت في هذه المرحلة أيضًا "استمرارية الدراسات العربية في فرنسا".

ت. مرحلة النضج: وهي تمتد من سنة 1895م إلى السنة التي أنجز فيها نشر الموسوعة الإسلامية بثلاث لغات أوروبية هي: الفرنسية والألمانية والإنكليزية، في أربعة مجلدات ضخمة، وهي سنة 1942م، ونشهد في هذه المرحلة أعمالاً هامة وقيمة ينتجها المستعربون في فرنسا خاصة، وغيرها من البلدان الأوروبية عامة. ونلاحظ في هذه المرحلة وسابقتها سعي فرنسا الحثيث إلى استعمار أجزاء من الوطن العربي أو بسط هيمتها عليها: فكانت حملة نابليون على مصر 1798م، واحتلال الجزائر سنة 1830م، وتونس 1881م، والمغرب سنة 1914م، ثم سورية 1920م، وكان لهذا السعي كبير الأثر في تحريض الدراسات العربية في فرنسا إلى درجة عالية لما كنت تقدمه للمستعمرين من معلومات تسهل عليهم السيطرة والإدارة والتوجيه والتأثير في هذا البلدان العربية[2].

ث. مرحلة المعاصرة: وهي تبدأ بسنة 1942م وأواخر الحرب العالمية الثانية إلى يومنا هذا ونجد فيها آثار رائعة للمستعربين الفرنسيين تدل على منهجية متقدمة، وتعمق وإلمام، كما تدل كذلك على نوع من أنواع التخصص في الدراسة العربية إذ كان

[1] نفس المرجع، ص128.
[2] محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص129.

المستعربون الأوائل يأخذون من كل علم أو فرع بطرف فأصبح المعاصرون منهم يقصرون اهتمامهم وجهودهم على طرف واحد من هذه الدراسات، فنجد بعضهم يتخصص بالأدب الجغرافي العربي[1].

II. الاستشراق الفرنسي والأدب العربي:

1- فرنسا:

تعتبر فرنسا المصدر الأول للاستشراق لأن علماء الدراسات الإسلامية وأوائل المستشرقين كانوا من فرنسا، وقاموا بدور كبير في هذا المضمار حتى القرن الأخير، وقد عرفنا أن الاستشراق الفرنسي قام بمرحلتان مهمتان بعد ظهور الإسلام:

أ. مرحلة الاستشراق بعد الحروب الصليبية:

يعتبر جربرت الراهب الفرنسي في عهد سلفستر الثاني 1938- 1056م وبطرس المحترم أول مترجم لمعاني القرآن للغة اللاتينية ورئيس كنيسة كلوني[2]، وجارا ديكليمون مترجم عشرات الكتب العربية والإسلامية في الأندلس المتوفي سنة 1187م، وإدلار دافبان الراهب الفرنسي وعشرات المستشرقين وعلماء الدراسات الإسلامية المسيحيين واليهود الأوروبيين، من أوائل المستشرقين وعلماء الإسلام الغربيين.

وفي أعقاب هذا التيار الجارف للاستشراق التبشيري تأسست عشرات المراكز للدراسات الإسلامية والاستشراق على أيدي أدباء الكنيسة في الجامعات الفرنسية وكل أووربا:

1. تأسيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية تأمر من البابا ألوست الرابع إلى رئيس جامعة باريس بتاريخ 1348م.
2. تأسيس المدرسة العربية في مدينة ريمس الفرنسية بأمر من سلفستر الثاني.
3. تأسيس مركز تعليم اللغات الشرقية في عام 1358م، بأمر من البابا هونريوس الرابع.
4. تأسيس أول مدرسة لتعليم العربية لتخريج المبشرين في طليطة بقرارها من مجلس

[1] المرجع نفسه، ص130.

[2] محمد حسن الزماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين: نبذة تاريخية، الأهداف، المدارس، مدى فعالية المستشرقون وأنشطتهم، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم 1524، ص287.

المبشرين عام 1350م[1].

5. تأسيس خمسة أقسام اللغات الشرقية في خمس جامعات غربية كبيرة بأمر من ألبابا كليمانس الخامس وبتصديق من المجمع الكنيسي الديني في عام 1311م.

6. مركز التعليم والبحوث الإسلامية والعربية في جامعة السوربون في فرنسا في القرون الأخيرة.

وكان لفرنسا النصيب الأكبر في الاستشراق التبشيري في هذا المشروع التاريخي الكبير[2].

ب-مرحلة الاستشراق بعد عصر النهضة:

تراجع المؤسسة بابوية في الغرب والاستيلاء على جزر بلقان بعد منية السلطان العثماني محمد الفاتح في عام 1481م وحكومة السلطان سليم الأول وسلطان سليمان القانوني، نشأت علاقات جديدة بين المؤسسة البابوبة والحكومة الفرنسية من ناحية والإمبراطورية الإسلامية العثمانية من ناحية أخرى.

وقد اختار فرانس الأول ملك فرنسا الإقامة في تركيا عام 1534م بموافقة السلطان العثماني، ومنذ ذلك الوقت بدأت العلاقات والاتفاقيات الحسنة، وكانت أولى خطوات الغرب في هذه المرحلة الجديدة القيام بمهمة شراء المخطوطات الشرقية والإسلامية والعربية، وقد عهد بهذه المهمة إلى وفد فرنسي برئاسة ويليام بوستل، وقد وضع بوستل بجمعه لتلك الكتب المخطوطة الكثيرة ونقلها إلى الغرب أساسا لبحوث المرحلة الجديدة للدراسات الإسلامية.

ويتحدث مؤلف كتاب الاستشراق والدراسات الإسلامية عن خصائص الاستشراق الفرنسي: فيقول:

أولا: إن مناهضة الإسلام موجودة في معظم أنشطة المستشرقين والعلماء المتخصصة في الدراسات الإسلامية في فرنسا.

ثانيا: أن الاستشراق الفرنسي كان معلما ورائدًا ونموذجًا اقتدى به الاستشراق الروسي، إذ أن المستشرق الروسي الفرنسي الكبير دوساسي استطاع تأسيس المدرسة التهذيبية العليا في جامعة بطسبورج التي تصدت للاستشراق في روسيا[1].

[1] محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، ص298.
[2] محمد حسن الزماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ص298.

2- هولندا:

من أعظم الأسماء التي طبعت على أغلفة الكتب الإسلامية والعربية في أوروبا لندن ولقد ساعد على اشتهارها قدم تأسيس مطبعتها واختراع حروف الطباعة العربية في مدينة لندن من أجل طبع الكتب الإسلامية والعربية وقد أدت أيضا إلى توجه الكثير من المخطوطات الإسلامية والعربية وعلماء الكتب، وعلماء الدراسات الإسلامية الغربيين والباحثين والمستشرقين إلى تلك المدينة حتى صارت هولندا المصبغة الثانية، هذا الاستشراق والدراسات الإسلامية في الغرب.

- وقد بدا اختراع حروف الطباعة العربية قبل هولندا بعدة عقود في المؤسسة الكنسيين روما، وقد بدأت هذه الطباعة في عام 1590م في لندن، وكانت هذه المدينة دائمًا في المرتبة الأولى في أوروبا والغرب في طباعة الكتب الإسلامية والعربية على مدى أربعمائة سنة إلى حد اليوم.

- وقد مهد وجود هذه المطبعة الطريق أمام كثير واكبر المشروعات البحثية العلمية في نطاق الدراسات الإسلامية والقرآنية في لندن، وقد كانوا الباحثين والمؤلفين من دول مختلفة ومن الغرب [2].

- **بين يدي الكتاب: فرنسا والمشرق العربي:**

- لقد فرنسا محور هذه العلاقات منذ أن صحت على مدير الشرق العربي على أوروبا والذي اجتاز شبه جزيرة الأندلس، ولقد اجتازها أيضا عبر جياد البيرية إلى بلاد الغال (فرنسا) وكان ذلك في بداية تحقيق حلم تاريخي.

وقد ألفه موسى بن نصير نظرة على سهول أوروبا الواسعة وكتب إلى الخليفة الأموي بحلمه في أن يعود إلى عاصمة الخلافة في دمشق وهذا عندما وصل إلى بلاد الأندلس، وقد كان تحقيق ذلك الحلم يتطلب أن يفتح في طريق عودته الشاطئ الشمالي للبحر المتوسط حتى عمل إلى تركيا الحالية فيجتاز إلى بلاد الشام.

إن فرنسا هي نقطة الصدام الأولى التي صدمته عمليا بالقرب من مدينة بواتييه الفرنسية في موقعه بلاط الشهداء سنة 732، وقد جرت بين جيوش المسلمين بقيادة عبد

[1] محمد حسن الزماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين، ص299.
[2] نفس المرجع، ص300.

الرحمان الغافقي وجيوش الفرنجة بقيادة شارل مارتل، وقد توقفت بعدها موجة الزحف وأخذت في الانحسار التدريجي الذي استمر نحو ثمانية قرون، وقد غادر العرب بعدها سنة 1492 بسقوط آخر معاقلهم في الأندلس[1].

قد نشأ النتائج الثقافية لهذا الصدام ما عرف فيما بعد بالآداب الفرنسي، ربما كانت مدين لهذا الصدام ذاته، وقد حدثت موقعه رونسيفو بعد أقل من خمسين عامًا على موقعه بلاط الشهداء سنة 778 بين المسلمين والفرنسيين الذين قد أبدت مؤخرة جيوشهم بقيادة رولاند ابن أخ الإمبراطور شارلمان، وقد أصبح بطلاً ملحمة شعرية كتبت باللهجة النوزماندية، وأصبحت النواة الأولى لاستقلال الأدب الفرنسي عن اللاتينية[2].

وقد دار موضوع الملحمة حول صداع البطل المسيحي مع الأعداء المسلمين وفي فترة الصداع كان النموذج الشرقي العربي يتجسد داخل فرنسا من خلال الفتوحات الجزئية التي لم تتوقف حتى بعد موقعه بلاط الشهداء في بواتييه، يقول جوستاف لوبون عن هذه الفترة: "إن العرب أخذوا يستردون مراكزهم السابقة وقد أقامة بفرنسا بعد ذلك، وقد سلم حاكم مرسيليا مقاطعة بروفانس إليهم 737، واستولوا على الأرال ودخلوا مقاطعة سان ترونير 889 ودامت إقامتهم في مقاطعة البروفانس، حتى نهاية القرن العاشر الميلادي، وأوغلوا في مقاطعة الغالة وسويسرا سنة 935، وتقى بعض المؤرخين أنهم بلغوا مدينة ميس...

ولك يكن شارل مارتل قد استطاع أن يطرد العرب من أية مدينة احتلوها عسكريًا بل أنه اضطر إلى التقهر أمامهم تاركًا لهم ما استولوا عليه من البلدان، وكانت النتيجة المهمة الوحيدة التي أسفر عنها انتصاره، أنه جعل العرب جرأة على غزو شمال فرنسا"[3] .

ولعل شدة الاقتراب بين النموذج الشرقي والعربي وسكان بلاد فرنسا قد جعلوا هذه البلاد تعجب بالنموذج الحضاري العربي ويفضلونه على نموذج جيرانهم الفرنجة الذين كان ينتمي إليهم شارل مارتل، وكانوا يسعون لهد العرب وأبعادهم، يقول رينو: "إن أصاله غالة كانوا قد احتفظوا بالحضارة الرومانية ولذا نظروا إلى الفرنجة على أنهم قوم غير

[1] د.أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997، ص8.
[2] نفس المرجع ، ص8.
[3] د.أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص9.

متحضرين قد احتفظوا بالحلاقة الجرمانية، وخنق رجال الدين على شارل مارتل لأنه استولى عل ممتلكات الكنائس والأديرة، وكان العرب قد تركوا لهم، وقد استمرت هذه الأخطاء في عهد شارلمان وتتحدث المصادر المسيحية عن تسامح الوالي العربي عقبة بن الحجاج واحترامه لرجال الدين المسيحي والكنائس[1].

قد كان الإعجاب بالنموذج العربي والإحساس بقيمته هو الذي دفع الفرنسيين في فترة ما بعد المواجهات الساخنة إلى البحث عن المنجزات الحضارية العربية، ولقد هذه في فترات مبكرة منذ القرن الحادي عشر ميلادي، حين سقطت طليطة سنة 1085م في يد الملك لإسباني الفرنسي السادس، بارع الإسبان والفرنسيين وعلى رأسهم مطران المدينة ريمون وهو فرنسي إلى العكوف على كنوز المخطوطات العربية في المدينة المستسلمة لدراستها وترجمة جانب عنها.

قد استمر الفرنسيين نحو المخطوطات العربية وبحثهم عنها وأعطتهم فترة الحروب الصليبية منفذًا جداجدا نحو معقل هذه المخطوطات في الشرق، وقد جلبوا الكثير منها حتى أصبحت هدفًا مقصودًا لبعض غاراتهم بتمجيدات الفارس العربي أسامة بين منفذ (1055-1188م) في سيرته الذاتية عن حزنه الشديد لاستيلاء الصليبيين على مكتبة أثناء رحلته من مصر إلى الشام فيقول: "فهو على سلامة من أولادي وأولاد أخي، وحرمنا ذهاب ما ذهب المال إلا ما ذهب لي من الكتب فإنها كانت أربعة ألاف مجلد من الكتب الفاخرة فإذا ذهابها حرازة في قلبي ما عشت".

كان تزايد المخطوطات العربية القادمة من الأندلس أو الشرق ونشاط حركة الترجمة إلى اللاتينية، دائمًا للقيام بإعداد إحصاءات بالمترجمات العربية إلى اللاتينية منذ القرن الثاني عشر، وقد أحصى "ليكلرك" ثلاثمائة مترجم حتى القرن الثالث عشر منها تسعون في الطب وتسعون في الفيزياء والطبيعة وسبعون في الرياضة والفلك، وكلهم فروع تتصل بفلسفة العلم التجريبي وتدل على مدى استفادة العقلية الأوروبية في فتر تكوينها بالتقدم العربي في هذا المجلد[2].

[1] نفس المرجع ، ص09.
[2] د.أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص10

وقد ازدادت حركة البحث عن المخطوطات العربية وتصنيفها في فرنسا في القرون التالية، وكان ذلك بتشكيل الظواهر الثقافية المهمة في القرنين السابع والثامن عشر، وكان ذلك بأمر من الوزير الشهير كولبير لتزوير مكتبة الملك لويس الرابع عشر، وقد كانت تشتري من العاصمة العثمانية اسطنبول التي كانت مكتبتها العامة والخاصة تعج بالمخطوطات العربية.

اختلفت البعثات المماثلة خلال القرن الثاني عشر منها: بعثة بول لوقا، وبعثة أنطوان جالون التي عثر خلالها على مخطوطات لألف ليلة وليلة، وقد أكملها بالروايات شفهية لم تكو مدونة، وقد قام بترجمتها إلى اللغة الفرنسية ق 12[1].

وازدادت المخطوطات العربية في المكتبات العامة والخاصة في فرنسا، ق 18 مثل مكتبات لويس الرابع عشر وكولبير ومازاران وجالون وقد وصل عدد هذه المخطوطات، ومع تزايد الإحساس بأهمية هذه المخطوطات فكر لويس السادس عشر فيما بعد في مشروع طموح بهدف إلى ترجمة كل هذه المخطوطات العربية إلى الفرنسية لكنه مات قبل أن تحقق خطته[2]

[1] نفس المرجع، ص10.
[2] د.أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، ص11.

أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي الموضوع المستشرقون وتاريخ الأدب العربي – المدرسة الفرنسية نموذجا-.

- إن الشعر العربي نشا وتطور عن السجع الذي بدوره تطور إلى الرجز أي تطوّر عن الأغاني العمل والأهازيج الشعبية الذي كان الناس يردّدونه في سفرهم، وقد نشأ أيضا عن الترانين الدينية التي كانت تردد في المعابد.

إن الشعر العربي قد نشأ بفعل التأثّر بالشعر الفارسي.

- الشعر هو من الفنون الجميلة التي يسميها العرب آداب الرفيعة وهي الرسم والموسيقى والشعر، ومرجعها إلى تصوير جمال الطبيعة.
- وقد قسم العرب الشعر إلى الفخر والحماسة والمدح والرثاء والعتاب والغزل.
- للاستشراق أهمية بالغة في الأوساط الأدبية حيث توسع مفهومه وأصبح علما مستقلا له قواعده وأسسه وكيانه.
- تعتبر فرنسا المهد الأول للاستشراق لأن علماء الدراسات الإسلامية وأوائل المستشرقين كانوا من فرنسا.
- إن الاستشراق الفرنسي إعتمد على مرحلتين بعد ظهور الإسلام الأول بعد الحروب الصليبية والثانية بعد عصر النهضة.
- تعتبر الدراسات العربية من الفنون الثقافية العربية التي اهتم بها المستعربون الفرنسيون حيث عملوا على نشر المخطوطات، وقد اعتمدوا على الترجمة إلى اللغة الفرنسية، وقد ترجمت أيضًا في القرنين 12 و13 من اللغة العربية إلى اللاتينية.
- إن فرنسا هي نقطة الصدام الأولى التي صدمته عمليا بالقرب من مدينته بواتييه الفرنسية.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- **الكتـــب:**

01- أحمد الاسكندري وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العربي، مطبعة مصر، القاهرة، 1934.

02- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، [د.ت].

03- أحمد درويش، الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.

04- أحمد سمايلو فينش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر، القاهرة، 1998 .

05- أحمد سمايلو فينش، فلسفة السيد محمد صبرة عفاف، المستشرقون ومشكلات الحضارة، دار الفكر العربي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997

06- أحمد الشرباصي، التصوف عند المستشرقين، مطبعة نور الأمل، سلسلة الثقافة الإسلامية، 1966.

07- إبراهيم صحراوي، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، إشراف: مصطفى سواق، سلسلة الأنيس الأدبية1.

08- إبراهيم صحرواي، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، ج4.

09- ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط1، 1990م/ 1410

10 - إسحاق موسى، الاستشراق: نشأته، تطوره، أهدافه، مطبعة الأزهر، القاهرة 1967

11- الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي بشري، دار الفكر، [د.ط]، 1994، ج13.

12- الحاج سالم ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية.

13- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1.
14- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، المواصفات الكاملة، بيروت، دار نوبيليس.
15- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج3.
16- حسن حنفي، ماذا يعني علم الاستغراب؟، دار الهادي، بيروت، ط1، 2000.
17- سعد المرصفي، المستشرقون والسنة، مكتبة النار، الكويت ومؤسسة الريان، بيروت.
18- صبحي حمودي، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000
19- عبد الرحمان ابن خلدون، نقلا عن مقدمة ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م.
20- علي العناني، المستشرقون والآداب العربية، الهلال أغسطس، 1932، ج1.
21- عبد القدوس الأنصاري، مجلة الأدب والعلوم الثقافية، دار المنهل، [د.ط]، [د.ت].
22- علي محمد جريشة، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، القاهرة، 1979.
23- عمر فروخ، الاستشراقية بين دعاته ومعارضه، إعدادها شم صالح، دار الساقي، بيروت،ط2، 2000
24- مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1969.
25- محمد حسن الزماني، الاستشراق والدراسات الإسلامية لدى الغربيين: نبذة تاريخية، الأهداف، المدارس، مدى فعالية المستشرقون وأنشطتهم، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم 1524.
26- محمد حسين علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1982
27- محمد عبده، الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، النشر الثاني، 1990.

28- محمد علي الصغير، المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2

29- مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون (مالهم وما عليهم)، دار السلام، القاهرة، 1999.

30- نبيل عبد الحق، المؤلفات الكاملة تاريخ آداب اللغة العربية، تاريخ العرب والإسلام من خلال روايات جرجي زيدان، صاحب دار نوبليس، بيروت.

31- نبيل عبد الحق، المؤلفات الكاملة من خلال روايات جربي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ط4.

32- نبيل عبد الحق، المؤلفات الكاملة من خلال روايات جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ط1.

33- يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق، دار المدار الإسلامي، طرابلس، ط2، 2001.

- المجـــلات:

01- رضوان السيد، ثقافة الاستشراق ومصائره، مجلة الفكر العربي.

02- شكري النجا، لماذا الاهتمام بالاستشراق، مجلة الفكر العربي، 1983.

03- عبد الرحمان شكري، ديوان عبد الرحمان شكري، جمع وتحقيق: تقولا يوسف، دار المعرفة بالإسكندرية، 1960.

04- كمال أبو ديب، الاستشراق، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 24-21.

04- محمد كامل، عبادة صفحات من تاريخ الاستشراق، مجلة العالم العربي، 1960، ج1.

05- محمود المقداد، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، سلسلة ثقافية في يناير 1978، بإشراف أحمد مشاري العرواني 1923-1990، عالم المعرفة، نوفمبر 1992

- القـواميس:

01- محمد بوزواوي، سلسلة قواميس المنار، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني وما بعدها.

الفـــــهرس:

- البسملة
- شكر
- إهداء
- مقدمة.....أ
- مدخل.....4

الفصل الأول: أثر الإستشراق التاريخي

1- نشأة الشعر العربي تعريفه وأغراضه.....17
2- تقسيم عصور الأدب بدءا بالعصر الجاهلي.....22

الفصل الثاني: المدرسة الاستشراقية الفرنسية والأدب العربي

1- تاريخ الأدب العربي عند المستشرقين.....35
2- الاستشراق الفرنسي والأدب العربي.....41
- خاتمة.....49
- قائمة المصادر والمراجع.....54
- الفهرس